كشف اللثام

عن بعض أسرار الفرائد القرآنية

في سورة آل عمران

الباحث

د/ محمود حسن علي محمود

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية أصول الدين والدعوة بأسيوط

جامعة الأزهر

كشف اللثام عن بعض أسرار الفرائد القرآنية في سورة آل عمران

محمود حسن علي محمود
قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط،
جامعة الأزهر ، جمهورية مصر العربية
البريد الالكتروني: mahmodali.48@azhar.edu.eg

ملخص البحث

تناولت هذه الدراسة جانبا من الحديث عن الفرائد القرآنية ، وكشفت عن سر تفرد هذه الألفاظ من آي الذكر الحكيم ومجيئها على هذا النسق المحكم، حيث وردت هذه الفرائد في هذه المواضع بأسلوب متناسق، وبناء محكم، وترابط عجيب، لتبرهن هذه الآيات بالأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة على أن القرآن معجز، وأنه من لدن حكيم خبير. وقد اشتملت سورة آل عمران علي سبع فرائد تنوعت في اشتقاقها ما بين أسماء: (دينار، بكة)، وأفعال: (رمزا، تدخرون، نبتهل)، ومصدر: (غزى)، وصفة: (فظا). هذه الفرائد منها ما جاء ببشارة كما في قوله تعالى(رمزا) فقد جاءت بشارة لسيدنا زكريا عليه السلام، ومنها ما جاء بمعجزة كما في الفريدة (تدخرون)وهو إعلام بالغيب على لسان سيدنا عيسى عليه السلام، ومنها ما ورد وهو يحمل بين طياته تهديدا ووعيدا لمن يكذب بآيات الله ولمن يجادل في آيات الله بغير علم وهذا بين في ما حدث مع النبي ﷺ عند مباهلته لوفد نصارى نجران في قوله تعالى (نبتهل)،ومنها ما ورد في صيغة الامتنان والشفقة والرحمة بالصحابة رضوان الله عليهم وبالأمة المحمدية ،وهذا واضح فيما وصف به المولى تعالى حبيبه ونبيه ﷺ بالرحمة وعظيم الأخلاق ونفي عنه ﷺ سيئ الأخلاق .

الكلمات المفتاحية: كشف ، فرائد ، آل عمران ، أسرار .

Unveiled some secrets of the Qur'anic sects in Surat Al-Imran

Mahmoud Hassan Ali Mahmoud
According to the interpretation and knowledge of the Qur'an, Faculty of Fundamentals of Religion and Dawah, Assiut, Al-Azhar University, Egypt
E-mail: mahmodali.48@azhar.edu.eg

Abstract

This Study dealt with a side of mention the Quran'ic peculiarities in Surat Al Emran . and it concluded the secret of the uniqueness these utterances from the verses of the Holy Quran and its relevance with this precise coordination in which theses miracles came in these position with a coordinated manner, a precise structure and an amazing interconnection to prove these verses with the conclusive evidences and bright proofs that the Holy Quran is a miracle and that it is revealed from almost a wise and an expert who is Allah (Glory be to him).These Surat included seven peculiarities , which were varied in its derivations , whether they be nouns as(Dinar and Bakkah), or actions verbs like (a symbol, they save something, have a quarrel then everyone claim his proof) , A source like (evaders) , and adjective like(a hard man).These peculiarities may come as a good tiding , as in the Almighty Allah Saying: (A symbol),so it came as a good news for the prophet Zakaria(PbUH), and among them may came as a miracle as in the peculiarity (they save something), which is considered informing of the unseen on the revelation of the prophet Jesus (PBUH) , and among them may come with a signal of threat and to whom who lies about the verses of the Holy Quran , and to whom who argue about the verses of the Holy Quran without knowledge, and this happened when the prophet Muhammad (peace be upon him) argue with a group of Christians of Najran in the Saying of Almighty Allah (Then we argue) , and among them may come in the fprm of the gratitude , mercy and sympathy with the companions (May Allah be pleased with them) and with The Nation of the prophet Muhammad (PBUH), and This is clear in the description of Allah(Glory be to him) his prophet Muhammad with mercy and the great ethics and omit from him the bad ethics.
Then the researcher presents a conclusion with the most important results and recommendations which have been concluded through the research.

Keywords: Findings, Fara'id or Miracles , Al Imran , Asrar or the secrets.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فَإِن أولى مَا عني طالب الْعلم بمراعاته وأحق مَا صرف الْعِنَايَة إِلَى معاناته مَا كَانَ من الْعُلُوم أصلا لغيره مِنْهَا وحاكما عَلَيْهَا، وَذَلِكَ هُوَ الْقرَان الْمجِيد الذى لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِل من بَين يَدَيْهِ وَلَا من خَلفه تَنْزِيل من حَكِيم حميد وَهُوَ المعجز الباقى على الْأَبَد ،وَهوحبل الله المتين وحجته على الْخلق أَجْمَعِينَ،ولا خلاف بين أهل العلم أن التعبير القرآني تعبير فريد في علوه وسموه،وهو أعلى كلام وأرفعه،فقد بهر القرآن العرب وهم أرباب الفصاحة والبيان بأسلوبه العجيب ،وبيانه المعجز،فعجزوا جمعيا عن معارضته والإتيان بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، وسيبقى الخلق جميعا عاجزين عن معارضته إلى آخر الدهر.

وذلك لأن لأسلوب القرآن رونقًا وجمالًا لن تلمسه في غيره من الكتب السماوية السابقة، ولا في نتاج أرباب الفصاحة والبيان؛ لأن القرآن من أوله إلى آخره جاريًا على نظام ثابت من السمو في جمال اللفظ، ودقة الصياغة، وروعة التعبير، وعمق المعنى، رغم تنقله بين موضوعات مختلفة وقضايا متنوعة ومواقف متباينة من القصص والتشريعات والمواعظ ، إضافةً إلى ذلك ما اتسمت به اللفظة القرآنية من اتساقها الكامل مع المعنى، وجمال وقعها

في السمع، واتساع دلالتها ومعانيها لما لا تتسع له عادةً دلالات الكلمات الآخرى من المعاني والكلمات، حتى حار في نظمه- وإلى الآن-فحول علماء العربية والبيان،ويكاد يُجمِعُ العلماء على أنه لم ينل كتاب في الدنيا دراسات فيه وحوله مثلما نال القرآن الكريم؛ بيد أنه رغم وفرة الدراسات القرآنية، إلا أن القرآن لا يزال يستنهض الباحثين لمزيد من البحث في آفاقه الممتدة التي لا تتوقف عند نهاية(١) .

"قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا" (٢)

ومن الحقائق التى لا يجوزأن تغيب أن البيان العالى المتقن في هذا اللسان الشريف لا يزال منطويا علىكثير من أسرار جودته وإتقانه،وأن الذي اكتشفناه من أسراره ليس كل ما فيه،وأن هذا البيان لا يزال يمد كل من يتدبرونه بشئ من أسراره،وأن الأجيال تتعاقب على ذلك وكنزه المدفون في باطنه لا يفني. (٣)

والمتأمل في الدراسات القرآنية وبالتحديد المتعلقة بالفرائد القرآنية

---

(١)إعجاز القرآن الكريم للقاضي أبي بكر الباقلاني- مكتبة مصر-ص (هـ)،فرائد اسم الفعل في القرآن الكريم دراسة بلاغية- د/السيد محمد سالم- مجلة جامعة المدينة العالمية- العدد الثاني عشر٢٠١٥م – ص ٣٨٣ بتصرف.

(٢)سورة الكهف الآية١٠٩ .

(٣)آل حم غافر وفصلت دراسة في أسرار البيان أد/محمد محمد أبوموسى- ط الأولى١٤٢٠هـ/٢٠٠٩م- مكتبة وهبة-القاهرة-ص٨بتصرف.

يجدها قليلة إذا ما قورنت بغيرها من الدراسات ،لذا أحببت أن أعيش في هذاالبحث مع جانب من إعجازالقرآن الكريم وهوالإعجاز البياني، وسأسلط الضوء على بعض ألفاظ القرآن الكريم التي لم تتكرر في القرآن كله حتى إن جذرها لم يتكررفي أي سياق آخر في القرآن كله؛ لِبيان سر تفردها، ومجيئها على هذا النسق المعجز وذلك من خلال سورة (آل عمران).

أسباب اختياري لهذا البحث:

دفعني للكتابة في هذا البحث بعد عون الله عزوجل وتوفيقه وهدايته لي عدة أمور:

أولا: حُبي لكتاب الله عزوجل ورغبتي في أن أساهم في خدمة كتاب الله تعالى واستجلاء بلاغة القرآن الكريم على قدر استطاعتي وجُهدي المتواضع ،وذلك منذ أن قرأت في مجلة الأزهر كتابات الأستاذ الدكتور:عبدالله سرحان عن الأسرارالبلاغية في الفرائد القرآنية.

ثانيا: بيان إعجاز القرآن وهو مهم وضروري للذين سقطوا ضحيةً للفكرالغربي الوافد من بني جلدتنا، الذين ردّوا ما جاء به القرآن من شرائع وحدود تحت دعاوى زائفة لا حصر لها، فما أن يلمسوا هذا الإعجاز يعَظم به يقينهم، ويقوى به إيمانهم.

ثالثا: تمثل الفرائدظاهرة واضحة في التعبير القرآني وهي بحاجة إلى دراستها بشكل وافٍ في أبحاث مستقلة إذ لم تحظ من الدارسين قديما إلا ببعض التعريفات مع بعض الشواهد من القرآن والنثر والشعر، ولم يتطرق بحثهم فيها إلى وجودها كظاهرة في الأسلوب القرآني.

رابعا: دراسة هذه المفردات دراسة تفسيرية وبيانية يساعد في التعريف بها لتعم معرفتها،وتكون بمثابة خطوة لتيسير فهم معاني القرآن الكريم والعمل به.

أهداف البحث:

- التعريف بالفرائد لغة واصطلاحًا.
- معرفة جانب من الدراسات السابقة التي تناولت الفرائد القرآنية .
- حصر الكلمات التي لم ترد في القرآن الكريم إلا مرة واحدة في سورة آل عمران، ولم يشتق من جذرهاسواها.
- تقديم نموذج لتحليل شامل لبعض ألفاظ القرآن، ليكون نبراساومعينًا لتحليل آخريشمل بقية ألفاظه بطريقة أكثر عمقًا، وأشمل نفعًا.

منهجي في البحث:

سرت بعون الله في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي[١] والاستنباطي[٢] عن طريق جمع الفرائد القرآنية في سورة(آل عمران)، ثم تحليلها ودراستها دراسة تفسيرية.

---

(١) المنهج الوصفي:يقوم على تحليل ووصف ما تحصل عليه الباحث من معلومات مما يساعد على بيان خصائص المفردة القرآنية،وسر تفردها،والقيمة الجمالية للأسلوب.كتابة البحث العلمى صياغة جديدة- عبدالوهاب إبراهيم أبوسليمان ص٣٣- ط السادسة- ١٤١٦هـ/١٩٩٦م – دار الشروق.

(٢) المنهج الاستنباطي: يقوم العقل فيه بالربط بين المقدمات والجزئيات أوبين الأشياء وعللها على أساس المنطق والتأمل الذهني،فهو يبدأ بالكليات ليصل منها إلى الجزئيات، وذلك عن طريق تحليل الآيات التى تتعلق بالموضوع ثم استنباط الفوائد والعبر. مناهج البحث العلمى-أد/محمد سرحان على المحمودي-ط الثالثة -١٤٤١هـ – دارالكتب – اليمن -صنعاء.

وكانت دراستى فيه على المنهج الآتي:

أولا: قمت بجمع الفرائد من خلال سورة أل عمران التي لم يرد ذكرها في آيات القرآن إلا مرة واحدة،ولم يشتق من جذرها اللغوي سواها.

ثانيا: رتبت هذه الفرائد حسب ورودها في المصحف الشريف ذاكرا الآية ورقمها.

ثالثا: قمت بدراسة كل فريدة من الفرائد على حدة في مبحث مستقل ،بادئا بأقوال أهل اللغة،ثم دراستها دراسة تفسيرية بذكر أقوال المفسرين فيها ومرجحا بين الأقوال على وفق قواعد المفسرين في الترجيح ، جامعا بين الأقوال عند التعارض إن أمكن الجمع.

رابعا: بينت سر تفرد هذه الفريدة وورودهافي هذه المواضع ومجيئها على هذا النسق دون غيرها من المترادفات المماثلة لها في اللفظ، وما تشتمل عليه من نكات وأسراربلاغية ، مما يدل دلالة واضحة على أن التحدي بالقرآن، واعجاز القرآن قائم الى قيام الساعة.

خامسا: دعمت البحث بالأحاديث النبوية مع تخريجها من مصادرها الأصلية، فاذا كان الحديث في الصحيحين أوأحدهما اكتفيت في الحكم بالعزو إليهما أو إلى أحدهما، وإن لم يكن في الصحيحين ذكرت حكم أحد العلماء عليه من الأئمة وأهل الحديث.

سادسا: ترجمت لبعض الأعلام الواردة في ثنايا البحث ،وتركت ترجمة المشهورين حتى لا يطول البحث .

سابعا: شرحت بعض الكلمات الغريبة الواردة في ثنايا البحث ،مع الضبط لما

يصعب قرائته من الكلمات.

خطة البحث: اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

أما المقدمة: فتشتمل على أسباب اختيارالموضوع ، وأهداف البحث، ومنهجي فيه ، وخطة البحث .

المبحث الأول: التعريف بسورة آل عمران .

المبحث الثاني: بين يدي الفرائد (ويشتمل على مطلبين) :

المطلب الأول: تعريف الفرائد لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: الفرائد في الدراسات السابقة .

المبحث الثالث: الفرائد في سورة آل عمران، ويشتمل على سبعة مطالب :

المطلب الأول:الفريدة الأولى (رَمْزاً)

المطلب الثاني:الفريدة الثانية (تدَّخِرُونَ)

المطلب الثالث: الفريدة الثالثة (نبْتَهِلْ)

المطلب الرابع: الفريدة الرابعة (دِينَارٍ)

المطلب الخامس: الفريدة الخامسة (بِبَكَّةَ)

المطلب السادس: الفريدة السادسة (غُزًّى)

المطلب السابع: الفريدة السابعة (فَظًّا)

الخاتمة: وهى تتضمن أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال البحث .

الفهارس: فهرس المصادر والمراجع ،فهرس الموضوعات .

المبحث الأول التعريف بسورة آل عمران

اسمها:اشتهرت تسمية هذه السورة ب(سورة آل عمران) وبذلك عنونت في المصاحف وفي كتب التفسير والحديث.وقد ثبتت تسميتها بهذا الاسم في حديث النبي ﷺ .عن أبي أمامة الباهلى ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ،(١) تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ»(٢).

---

(١) وفي الرواية الأخرى كأنهما حزقان من طير صواف،الفرقان والحزقان معناهما واحد وهما قطيعان وجماعتان يقال في الواحد فرق وحزق وحزيقة،وقوله من طير صواف جمع صافة وهي من الطيور ما يبسط أجنحتها في الهواء (تحاجان عن أصحابهما) أي تدافعان الجحيم وهوكنايةعن المبالغةفي الشفاعة.صحيح مسلم ٥٥٣/١،الفائق في غريب الحديث والأثرالمؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)المحقق: علي محمد البجاوي – دار المعرفة – لبنان .الطبعة: الثانية.٨٢/٣ .

(٢)الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا بَابُ فَضْلِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي الصَّلَاةِ وَتَعَلُّمِه ج١/ص ٥٣٣. صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري(ت: ٢٦١هـ)المحقق:محمد فؤاد عبد الباقي.الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

وسميت السورة ب(آل عمران) لورود ذكر قصة تلك الأسرة المباركة(آل عمران) والد مريم أم عيسى عليهما السلام،وما تجلّى فيها من مظاهر القدرة الإلهية بولادة مريم البتول وابنها عيسى عليهما السلام. (١)

وقد جاء ذكر عمران في هذه السورة مرتين في آيتين متتاليتين، قال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٤) إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"(٢).

وقد ذهب فريق من المفسرين إلى أن عمران، الذي سميت السورة باسمه،هوعمران أبو موسى عليه السلام. والراجح أنه عمران والد مريم عليها السلام، وكان بين العمرانين، فيما يقول الرواة، أمدا طويلا. (٣)

وقد ذكر العلماء أسماء أخرى لهذه السورة منها:

أنها تسمى بسورة الزهراء، لأنها كشفت عما التبس على أهل الكتاب من شأن عيسى- عليه السّلام، أو لنورها وهداياتها وعظيم شأنها كما جاء في صحيح مسلم، أو لأنها تنير الطريق للسالكين إلى الله تعالى مع سورة

---

(١) صفوة التفاسير الشيخ محمد على الصابوني- دار الصابوني للطباعة والنشر-القاهرة ١٧٨/١.

(٢)سورة آل عمران الآيتان(٣٣:٣٥).

(٣)التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم- اعداد نخبة من علماء التفسيروعلوم القرآن بإشراف أد/ مصطفي مسلم -جامعة الشارقة- ط الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م - الإمارات العربية المتحدة . ج١ /ص ٤٠٣،٤٠٤ .

البقرة، أو لما يترتب على قرائتهاوسورة البقرة من النور التام يوم القيامة. (١)

وتسمى بسورة المجادلة لنزول أكثر من ثمانين آية منها في شأن مجادلة الرسولﷺ لوفد نصارى نجران،وتسمى بسورة طيبة، لجمعها الكثير من أصناف الطيبين في قوله- تعالى- الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحارِ. (٢)

ومما ورد في فضلها ما وردعن النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ الْكِلَابِيَّ رضى الله عنهَ قَالُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَآلُ عِمْرَانَ»، وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ، قَالَ: «كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ، أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا» ا(٣)

---

(١) صحيح مسلم ١/٥٥٣ .

(٢)معالم سور القرآن الكريم واتحافات درره تاليف أد/جمعة على عبدالقادر – ط الثانية ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م١/١٩٧،١٩٨، الموسوعة القرآنية، خصائص السورالمؤلف: جعفر شرف الدين المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجري –دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٠ هـ ٢/ ٣،٤،٥ باختصار،التفسير الوسيط أد/محمد سيد طنطاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ٢/ ص ٥،٦ ،التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم- ج١ /ص ٤٠٣،٤٠٤.

(٣)أخرجه مسلم كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا- بَابُ فَضْلِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي الصَّلَاةِ وَتَعَلُّمِه ١/٥٥٤.

مكية السورة أو مدنيتها:

هذه السّورة مَدَنية باتِّفاق جميع المفسرين،ومواضيع السورة ومحاورها تدل على ذلك،ولم أقف على خلاف في مدنيتها، وكذلك كلُّ سورة تشتمل على ذكر أَهل الكتاب، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: مدنية بِالْإِجْمَاعِ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ صَدْرَهَا إِلَى ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ آيَةً نَزَلَ فِي وَفْدِ نَجْرَانَ، وَكَانَ قُدُومُهُمْ فِي سَنَةِ تِسْعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ.(١)

عدد آياتها: مئتان بإجماع القُرَّاء ،وعددكلماتها: ثلاثة آلاف وأَربعمائة وثمانون كلمة.

عدد حروفها: أَربعة عشر أَلفاً وخمسمائة وخمسة وعشرون حرفاً.

ترتيبها فى النزول: نزلت بعد سورة الأنفال ،وترتيبها في المصحف العثماني: السورة الثالثة في ترتيب المصحف إذ تسبقها في الترتيب سورتا الفاتحة والبقرة. (٢)

---

(١) تفسير القرطبي٤/ص٥ الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي تحقيق د/محمد إبراهيم الحفناوي- دار الحديث القاهرة – ط الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، التحرير والتنوير ١٤٦/٣ المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر.

(٢)بصائر ذوي التمييزفي لطائف الكتاب العزيز المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)المحقق: محمد علي النجار،الناشر:لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.١٥٨/١.

أهم المقاصد التى اشتملت عليها سورة آل عمران:

سورة آل عمران ثاني السبع الطوال ، وقد تناولت عددا كبيرا من الموضوعات ، إلا أن مقصود السورة يتلخص في محورين:

الأول: إثبات وحدانية الله تعالى وإقامة الأدلة والبراهين على ذلك،وسر اهتمام هذه السورة بهذا المحور،لأن الإقرار بوحدانية الله عز وجل والإعتراف بأن الله هو الخالق والمبدع لهذا الكون،هوتقريرلكون عيسى عليه السلام عبدا لله وسوله،وهو ما تؤكد عليه الأيات من قوله تعالى: "إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ" (١)

الثاني: وصف غزوة أحد وتسجيل أحداثها، وتقديم الدروس والعبر للمسلمين من خلالها في نحو خمسين آية، من قوله تعالى: "إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ" (٢)، إلى قوله تعالى:" الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"(٣)، وفي أعقاب غزوة أحد، ذكر فضل الشهادة ومنزلة الشهداء عند ربهم، ودعوة إلى الصبروالثبات حتى يأتى النصر من عند الله.(٤)

---

(١) سورة آل عمران الآيتان (٥٩،٦٠).

(٢) سورة آل عمران الآية(١٢٢).

(٣) سورة آل عمران الآية (١٦٨).

(٤) صفوة التفاسير ١٧٧/١،التفسير الموضوعى لسور القرآن الكريم ٤٠٣/١.

وهذا عرض موجز لبعض ما اشتملت عليه السورة من موضوعات :

بدأ الله تعالى هذه السورة بتوحيده، وذكر بعض أسمائه الحسنى، وأنه سبحانه أنزل القرآن مصدقًا لما سبقه من الكتب السماوية، ثم ذكر أن اللذائذ الدنيوية زائلة، وأن الآخرة خير وأبقى، وما فيها إنما هو للمؤمنين الذين أيقنوا أن الدين الحق: هو الإسلام.

ثم انتقلت السورة إلى تعلّيَم الرسول ﷺما يقوله عند محاجّة الكفار،وأبانت أن أهل الكتاب بعضهم مهتد وبعضهم كافريقتلون الأنبياء، ويدَّعون أنهم لن تمسهم النار إلا أيامًا قلائل. وأمرت المؤمنين أن لا يتخذوهم أولياءَ، وأكدت الآيات أن محبته سبحانه وتعالى لا تَتِمُّ إلا بمتابعة الرسول ﷺ.

ثم انتقلت السورة إلى ذكر قصص بعض المصطَفين الأخيار: كمريم، وزكريا، ويحيى، وعيسى – عليهم السلام – وما جرى لعيسى من المعجزات، وردَّ على ما اعتقده النصارى فيه من أنه ابن الله، وأُمر النبي ﷺ أن يدعو أهل الكتاب إلى المباهلة والدعاءبأن ينزل الله لعنته على الكافرين، ورَدَّ على اليهود الذين قالوا: إن إبراهيم كان على ديننا. وبينت الآيات أن أَوْلَى الناس بإبراهيم: الذين اتبعوه، والنبي والمسلمون، ونبه الله المؤمنين ألا يغتُّروا بكلام اليهود الذين من عادتهم إلقاء الشبهات، وإظهار الإيمان في بعض الأوقات، وإصرارهم على الخيانة، وتحّريفهم التوراة،وكذَّب اليهود الذين ادعوا أن كل شيء يُحرّمونه كان محرمًا على نوح وإبراهيم عليهما السلام، وأمر النبي أن يحاجهم بكتابهم الناطق بصحة ما يقوله رسول الله ﷺ ، وأن يدعوهم إلى

اتباع دين الإسلام.

ثم ذكرت الآيات أفضلية البيت الحرام على غيره من البيوت، وأن حجه واجب على المستطيع ،وحذَّرَالمولى سبحانه وتعالى فريقًا من المسلمين من استماع كلام الكافرين، وطلب إلى المسلمين جميعًا أن يكونوا دعاة إلى الإيمان والعمل الصالح ، وأبان أحوال الناس يوم القيامة وبشَّرَ المؤمنين بالنصر والكافرين بالعذاب.

ثم نَهَى الله المؤمنين أن يتخذوا بطانة من الكفار، وحثَّهم على أن يخاطبوهم خطاب الأعداء ويُعلموهم أن الله مطلع على ما في قلوبهم من الحقد والبغض لهم ،ودعا المسلمين إلى الصبر، ووعدهم بالحفظ من كيد الكافرين، ثم ذكرت الآيات جانبا من قصة بَدْر، ونصْرَ الله للمسلمين فيها.

ثم انتقلت الآيات إلى الحديث عن غزوة "أُحد" وقررت أن طريق الجنة: الجهاد والعمل الصالح، وأن كثيرا من الأمم حاربت مع أنبيائهم، ولكنهم صبروا على الإيذاء في سبيل الله تعالى إلى أن جاءهم النصر من عند الله ، فما على المؤمنين إلا الصبر والسمع والطاعة لله ولرسول الله ﷺ وسيأتى النصر من عند الله.

ثم ذكرت الآيات جانبا من حسن أخلاق رسول الله ﷺ، وأبانت أن النبي ﷺ رحيم بأمته وأنه لو كان ﷺ سيء الأخلاق، لابتعد الناس عنه،ثم حثه تبارك وتعالى على مشاورة أصحابه والعزم والتوكل عليه تعالى في جميع الأمور وهو نعم الوكيل.

ثم ختمت السورة بالتسلية لرسول الله ﷺ وبيان أن الله تعالى سيحاسب

الجميع بعد الموت، فلا ينبغي للمؤ منين أن يغتروا بصولة الباطل وأهله ، إنما الدنيا دار اختبار وأن الله سبحانه يختبر عباده،فمن صبر فله الأجر، ثم حث المؤمنين على الصبر والمرابطة والتقوى والتمسك بالإيمان بالله والعمل الصالح رجاء الظفر بقربه تعالى[1].

(١)التفسيرالوسيط للقرآن الكريم،مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر،الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية .الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) ١/ ٥٠٧ :٥٠٩،فتح القديرالمؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني(المتوفى: ١٢٥٠هـ) دار ابن كثير، دمشق، بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ ٣٥٧/١، التفسير الوسيط أد/محمد سيد طنطاوي ٢/ ص ٥،٦ ،التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ج١ /ص ٤٠٣،٤٠٤، الموسوعة القرآنية ٢/ ٣،٤،٥ باختصار.

المبحث الثاني بين يدي الفرائد

المطلب الأول : تعريف الفرائد لغة واصطلاحا

الفرائد في اللغة : جمع فريد وفريدة، والفريد هو :الفرد الذي لا نظير له، وهو أيضا،الدرإذا نظم وفصل بغيره، والفريدة :الشذر الذي يفصل بين اللؤلؤ والذهب في العقد، وهى أيضا :الجوهرة النفيسة، ويقال :استفرد الغواص هذه الدرة :أي لم يجد معها أخرى، وتقول:فلان يفصل كلامه تفصيل الفريد وهو الدر الذي يفصل بين الذهب في القلادة المفصلة، .فالدر فيها فريد والذهب مفرد. (١)

ومن المعنى اللغوي للفرائد نستخلص أنها:الشيء النفيس الذي لا نظير له سواء أكان ماديا كالذهب والدر،أو معنويا كالكلام الفريد المفصل.

الفرائد في الاصطلاح: عرفها ابن فارس فقال:هى الألفاظ التي لا نظيرلها، فهى متوحدة فيما تدل عليه من معنى بعكس الألفاظ ذات المعاني المتعددة الوجوه. (٢)

---

(١) كتاب العين المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي،الناشر: دار ومكتبة الهلال ٦/ ٢٤٩،القاموس المحيط المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى(المتوفى: ٨١٧هـ)تحقيق: محمد نعيم العرقسُوسي –الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت – لبنان–ط: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .١/٣٠٥.

(٢) أفراد كلمات القرآن العزيز لأحمد بن فارس اللغوي ت ٣٩٥هـ – تحقيق :أد/ حاتم صالح الضامن– دار البشائر– ط الأولى ١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م.صـ٥ .

ونلحظ تعريفها الاصطلاحي أيضا عند أول من أورد مصطلح الفرائد ابن أبي الإصبع المصري ، وذكرأن هذا الباب مختص بالفصاحة وحدد مصطلح الفرائد بأنه: إتيان المتكلم بلفظة تتنزل من كلامه منزلة الفريدة من حب العقد تدل على عظم فصاحته وقوة عارضته وشدة عربيته، حتى إن هذه اللفظة لو سقطت من الكلام لعز على الفصحاء غرامتها (أي خسرنها وفقدانها).

ثم استشهد من القرآن بآيات كثيرة مصدرا لذلك بأن ما جاء في الكتاب العزيز من ذلك غرائب يعز حصرها .ومما استشهد به لفظ خائنة من قوله تعالى: (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) سورة غافر(١٩) معلقا عليها بقوله: وهذه الفريدة في هذه الآية أعجب من كل ما تقدم؛ فإن لفظة (خائنة) سهلة مستعملة كثيرةالجريان على ألسن الناس لكن على انفرادها؛ فلما أضيفت إلى الأعين حصل لها من غرابة التركيب ما جعل لها في النفوس هذا الموقع العظيم بحيث لا يستطاع الإتيان بمثلها ولا يكاد يقع في شيء من فصيح الكلام شبهها، وقد استمر ابن أبى الأصبع على هذا النهج وهو يستشهد بقول الرسول ﷺ:إذا ذكر الصالحون فحّى هلا بعمر فقد أشار إلى أن لفظة حي هلامن الفرائد العجيبة وفيها من الفصاحة ما يعجز عن مثله كل فصيح. [١]

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن المؤلف: عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع البغدادي ثم المصري (ت: ٦٥٤هـ)تحقيق: الدكتور حفني محمد شرف الناشر: الجمهورية العربية المتحدة – ٥٧٧،٥٧٨،الإتقان في علوم القرآن المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)المحقق: محمد أبوالفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧٤ م-ج٢/ص ٣١٩ .

إذن الفرائد في القرآن تعنى :تلك الكلمات التي اكتسبت صفة الفردية بداية لكونهاكلمات قرآنية انتظمت في سلك النظم القرآنى البديع وتعلقت بما قبلها وما بعدها تعلقًا قويا؛ بحيث لا يغني غيرها غناء ها في موضعها وبحيث لو سقطت لعز على الفصحاء غرامتها كما يقول ابن أبي الأصبع ،ثم هي اكتسبت ثانيًاصفةأخرى أكثر تخصيصًا وتقييدًا وهي كونها فذة أي متفردة لم ترد في القرآن إلا مرة واحدة ولم تتكرر في أي سياق آخر رغم تشابه السياقات أحيانا(١).

****

المطلب الثاني: الفرائد في الدراسات السابقة

بالبحث في كتب العلماء السابقين تبين أن بعض العلماء تعرض لحديثه عن الفرائد كمصلح معجمى ،فعرف بها وذكرلها بعض النماذج من آيات الذكر الحكيم ، واستشهد ببعض الأمثلة من أشعار العربية .

ومن هؤلاء العلماء :ابن أبي الأصبع ت٦٥٤هـ في كتابه (تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثروبيان اعجاز القرآن)، وابن حجة الحموي ت٨٣٧هـ في كتابه (خزانة الأدب وغاية الأرب)، والإمام السيوطي ت٩١١هـ

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني،الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)المحقق: مجموعة من المحققين - الناشر: دار الهداية.٨/٤٨٦،بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم المضارع نموذجا- د/كمال عبدالعزيز إبراهيم- الدار الثقافية للنشر- القاهرة-٢٠١٠م.ص ٤،٥ ، من بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم د/محمد السيد سالم – مجلة جامعة المدينة العالمية- العدد العاشر ص ٥٦٦،٥٦٧.

في كتابه(الإتقان في علوم القرآن) وتحدث عن الفرائد في بضعة أسطر مع ذكر بعض الآيات من القرآن الكريم فقال (والفرائد مُخْتَصَّة بِالْفَصَاحَةِ دُونَ الْبَلَاغَةِ لِأَنَّهُ الْإِتْيَانُ بِلَفْظَةٍ تَتَنَزَّلُ مَنْزِلَةَ الْفَرِيدَةِ مِنَ الْعِقْدِ- وَهِيَ الْجَوْهَرَةُ الَّتِي لَا نَظِيرَ لَهَا- تَدُلُّ عَلَى عِظَمِ فَصَاحَةِ هَذَا الْكَلَامِ وَقُوَّةِ عَارِضَتِهِ وَجَزَالَةِ مَنْطِقِهِ وَأَصَالَةِ عَرَبِيَّتِهِ بِحَيْثُ لَوْ أُسْقِطَتْ مِنَ الكلام عزت على الفصحاء غرابتها وَمِنْهُ لَفْظُ: " حَصْحَصَ " فِي قَوْلِهِ: {الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ}[1]"والرفث " فِي قَوْلِهِ: {أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ}[2]، ووقفت د/ بنت الشاطئ أمام عدد قليل من الفرائد الواردة في قصار السور في كتابها (التفسير البياني للقرآن الكريم) حيث ذكرت أنها من الصيغ الوحيدة مادة وصيغة ومستها مسا لغويا خفيفا ، و د. أحمد مطلوب في كتابه (معجم المصطلحات البلاغية وتطورها) وقد ذكر في كتابه الأمثلة التي استشهد بها الأقدمون[3].

---

(١)سورة يوسف الآية(٥١)

(٢)سورة البقرة الآية(١٨٧)

(٣) تحرير التحبير ٥٧٨،٥٧٧، الإتقان في علوم القرآن ٣١٩/٢،الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني الكفوي(ت: ١٠٩٤هـ)المحقق: عدنان درويش – مؤسسة الرسالة – بيروت.٦٩٧/١، معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان،الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .ج٣٠٩/١،من بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم د/محمد السيد سالم– العدد العاشر ص ٥٦٦،٥٦٧.

والبعض الآخر من المؤلفين في الفرائد تعرض لها في دراسة مستقلة تحت هذا المسمى الذي خصها به البلاغيون وأهل هذا الفن ، إلا أن منهم من قام بدراستها دراسة لغوية بحته ، ومنهم من قام بدراسة بعضها دراسة بلاغية، وسأقتصرعلى سرد بعض هذه الدراسات.

– مفاريد الألفاظ في القرآن دراسة لغوية للباحث/ محمود عبدالله يونس ، رسالة ماجستير ، سلط الباحث فيها الضوء على بعض القضايا والمسائل اللغوية من صوتية وصرفية ودلالية وحدد لنفسه المنهج الوصفى لتتبع هذه المسائل، وهذه الدراسة تناولت الفرائد دراسة صوتية وصرفية ومعجمية بحتة بعيدة كل البعد عن الدراسة الفنية الجمالية في إطار سياقها، وقد أوصى الباحث في خاتمتها بدراسة الفرائد من الناحية البلاغية. (١)

– ومن الباحثين والمهتمين بالفرائد: باسل البسومي فقد خصص لها معجما وسماه بـ (معجم الفرائد القرآنية) ويشتمل جل هذا البحث على رصد المفردات القرآنية والعمل على استخراج معانيها من المعاجم اللغوية وكتب التفسير التي تتميز بالتركيز على الجانب اللغوي ، ويركز الباحث في دراسته على أمرين هما: الأول: احياء الألفاظ القرآنية التي لم تتكرر إلا مرة واحدة فقط ولم يشتق من جذرها اللغوي سواها، الثاني: مدارسة كل لفظة من هذه الألفاظ واعطاء المعنى اللغوي للكلمة بإيجاز، وهذه الدراسة أيضا دراسة

(١) مفاريد الألفاظ في القرآن الكريم–رسالة ماجستير–للباحث/محمود عبدالله يونس–كلية اللغة العربية بالقاهرة ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م.

معجمية بحتة، إلا أنها امتازت برصد الفرائد القرآنية وجمعها في كتاب واحد، وتساعد الباحث في جمع فرائد كل سورة من سورالقرآن على حدة. (١)

- ومن الدارسين الباحث/عاطف المليجي في كتابه (الألفاظ الوحيدة في القرآن وسر اعجازها) وهذه الدراسة عبارة عن كُتيب صغير ذكر فيه الباحث أكثر فرائد القرآن وهى حوالى(٣٧١) فريدة كل فريدة مصحوبة بذكر معناها المعجمي بإيجاز شديد،ولم يتطرق إلى أى لمحة بيانية أونكتة بلاغية تخص الفرائد. (٢)

- ومن الدارسين للفرائد د/كمال عبد العزيز إبراهيم في بحثه المسمى(بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم المضارع نموذجا)، وهذه الدراسة من اسمها تختص بالفعل المضارع الفذ(٣)

- ومن الدارسين د/محمد سالم العوضي في بحثه المسمى (فرائد اسم الفعل في القرآن الكريم دراسة بلاغية)، وقد اقتصرفي بحثه كما ذكرعلى فرائد اسم الفعل

---

(١) معجم الفرائد القرآنية- باسل سعيد البسومى- مركزنون للدراسات والأبحاث القرآنية ١٤١٢هـ/٢٠٠١م.

(٢) الألفاظ الوحيدة في القرآن وسر إعجازها- عاطف المليجي- دار حورس للطباعة- القاهرة ٢٠٠٢م.

(٣) بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم "المضارع نموذجا"- د/كمال عبدالعزيز إبراهيم- الدار الثقافية للنشر- القاهرة -٢٠١٠م.

وبين بأنها ثلاثة فرائد في القرآن الكريم جميعها تبدأ بحرف الهاء(هيت، هيهات، هاؤم) [١]

- ومن الدراسات التي تناولت الفرائد بشكل مباشر أ.د/ عبدالله سرحان في كتابه (الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية)، وقد اقتصر فيه على الفرائد التنوردت في القصص القرآني وقد أشار إلى ذلك، وعلل اقتصاره على قصص الأنبياء حتى لا يطول البحث، ويتضح من عنوانه أنه كشف فيه عن الأسرار البلاغية التي تنطوي عليها الفرائد، وهو من أفضل ما أُلف في بابه[٢].

- ومن الدراسات التفسيرية في باب الفرائد بحث نشر بمجلة كلية أصول الدين بأسيوط العدد الثامن والثلاثون بعنوان: (فتح الرحمن في الكشف عن فرائد القرآن الكريم "سورة الأنبياء أنموذجا") د/ محروس رمضان حفظى.

بعد هذا العرض الموجز عن الفرائد في الدراسات السابقة يتبين الآتي:

١- ما ألف في باب الفرائد قليل بالنسبة للدراسات القرآنية من الناحية التفسيرية، لكنني أشرت إلى بعضها ليكون القارئ على علم إذا ما أراد الوقوف على بعض ما يختص بهذا العلم.

---

(١) فرائد اسم الفعل في القرآن الكريم"دراسة بلاغية"-مجلة جامعة المدينة العالمية-العددالثاني عشر-أبريل٢٠١٥م.

(٢) الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية-أد/ عبدالله عبدالغنى سرحان-الأستاذ بجامعة الأزهر-مركز التدبر ط الأولى١٤٣٣هـ/٢٠١٢م-الرياض-السعودية.

٢- معظم هذه الدراسات لم تتناول الفرائد من الناحية التفسيرية بحيث تتجلى من خلالها بلاغة وإعجاز القرآن الكريم، والسر في التعبير بهذه الفرائد ومجيئها على هذا النسق العجيب من الفصاحة والبلاغة.

٣- لا يوجد بحث مستقل على حد علمي تعرض لدراسة الفرائد في سورة (آل عمران)، لذا قمت بجمع الفرائد فيها ودراستها دراسة تفسيرية، مبينا السرفي تفرد هذه الفرائد في موضعها دون غيرها من الألفاظ.

والله ولى التوفيق،،،،،

المبحث الثالث فرائد سورة آل عمران

المطلب الأول: الفريدة الأولى: (رمزا)

وردت هذه الفرية في قوله تعالى:" قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا" الآية (٤١).

والسياق الذي ذكرت فيه هذه الفريدقيحكي موقف نبي الله زكريا عليه السلام لما طلب من ربه الولد فجاءته البشرى من الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب، عندها طلب من ربه آية يعرف بها بداية حمل زوجه ،فأخبره سبحانه بأن آية ذلك عندما لا يقدرعلى الكلام مع الناس ثلاثة أيام وهو معافى سالما بإستثناء ذكر الله تعالى.

وقبل أن أذكر أقوال المفسرين في هذه الفريدة ألق الضوء على أقوال أهل اللغة :

ذكر اللغويون في معنى قوله تعالى: (رمزا) أن الرمز: هو الإشارة إما بالشفتين أوالحاجبين والعينين، وأكثره يكون في الشفتين، وقد يطلق أيضا على الخفى من الكلام الذي هو مثل الهمس بخفض الصوت .

قال الراغب: الرَّمْزُ: إشارة بالشّفة، والصّوت الخفيّ، والغمز بالحاجب، وعبّر عن كلّ كلام كإشارة بالرّمز، كما عبّر عن الشّكاية بالغمز، قال تعالى: (قالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً)، وما ارْمَازَّ، أي: لم

يتكلّم رمزا، وكتيبة رَمَّازَةٌ: لا يُسمع منها إلّا رَمْزٌ من كثرتها. (١)

ويظهر من المعنى اللغوي للكلمة أن الفريدة توحي بالحركة والاضطراب كما قيل بأن الرمزالإشارة التي ترتمز أي تتحرك وتضطرب من جوانبها، وهذه ناقة ترتمز أي لا تكاد تمشي من ثقلها وسمنها .

وكلام زكريا عليه السلام للناس رمزاً، يبدو أقرب إلى الإيماء والإشارة، غير مقيد بحاجب وبيد أو بوحي من رأس، ودون أن يُفهم من الرمزكلاماً للناس(٢)

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى الذي عنى الله عز وجل به في إخباره عن زكريا عليه السلام ، وأيّ معاني"الرمز" عني بذلك؟

فقال بعضهم: عني بذلك: آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا تحريكًا بالشفتين، من غير أن ترمز بلسانك الكلام.

وقال آخرون: بل عنى الله بذلك: الإيماء والإشارة. (٣)

---

(١)المفردات في غريب القرآن المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى:٥٠٢هـ) تحقيق: محمد خليل عيتاني– دار المعرفة بيروت الطبعة: الثانية – ١٤٢٠ هـ ص ٢٠٩، (معاني القرآن٢/٢١٣).

(٢) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق – المؤلف: عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ ت: ١٤١٩هـ دار المعارف، ط الثالثة، ص٣٩١، ٣٩٢ بتصرف.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري (ت:٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى،١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ج٦/ص٣٨٩، ٣٨٨.

ولا منافاة بين القولين لأن الرمز أعم ويشملهما كما تقدم من كلام أهل اللغة.

ومعنى الآية كما ذكر المفسرون {قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً} أَيْ عَلَامَةً أَعْلَمُ بِهَا وَقْتَ حَمْلِ امْرَأَتِي فَأَزِيدُ فِي الْعِبَادَةِ شُكْرًا لَكَ {قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ} تَكُفَّ عَنِ الْكَلَامِ {ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ} وَتُقْبِلَ بِكُلِّيَّتِكَ عَلَى عِبَادَتِي، لَا أَنَّهُ حَبَسَ لِسَانَهُ عَنِ الْكَلَامِ، وَلَكِنَّهُ نَهْيٌ عَنِ الْكَلَامِ وَهُوَ صَحِيحٌ سَوِيٌّ، كَمَا قَالَ فِي سُورَةِ مَرْيَمَ الْآيَةَ (١٠) {أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا} يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ} فَأَمَرَهُ بِالذِّكْرِ وَنَهَاهُ عَنْ كَلَامِ النَّاسِ. (١)

وَقَد ذكر أكثر المفسرين أن المولى تبارك وتعالى أمسك لسانه عن الكلام عقوبة له، قَالَ قَتَادَةُ: أَمْسَكَ لِسَانَهُ عَنِ الْكَلَامِ عُقُوبَةً لَهُ لِسُؤَالِهِ الْآيَةَ بَعْدَ مُشَافَهَةِ الْمَلَائِكَةِ إِيَّاهُ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْكَلَامِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ،(وهو قول ضعيف) ضعفه كثير من المفسرين.قال الإمام القرطبي: وهو قول مرغوب عنه، لأن الله عزوجل لم يخبرنا أنه أذنب ولا أنه نهاه عن هذا، ولكن المعنى :اجعل لي علامة تدل على كون الولد حتى أُبادر بشكرك. (٢)

وقال الإمام القشيرى: طلب الآية ليعلم الوقت الذي هو وقت الإجابة على التعيين لا لشك له فى أصل الإجابة،وجعل آية ولايته فى إمساك

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن"تفسيرالبغوي" المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين ابن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ) تحقيق محمد عبد الله النمر، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الرابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م ، ج٢/ص ٣٦، فتح القدير ج٣٨٨/١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ٤/ص ٨٧.

لسانه عن المخلوقين مع انطلاقها مع الله بالتسبيح، أي لا تمتنع عن خطابى فإنى لا أمنع أوليائى من مناجاتى. (١)

وهنا يرد سؤال مفاده: لم حُبس لسانه عن كلام الناس؟

والجواب: ليخلص المدّة لذكر الله تعالى حتى لا يشتغل لسانه بغيره، توفراً منه على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة .

قال الإمام النسفى: وإنما حبس لسانه عن كلام الناس ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره كأنه لما طلب الآية من أجل الشكر قيل له آيتك أن تحبس لسانك إلا عن الشكر. (٢)

ولو كان ذلك الصمت عقوبة لكان تكديرا لتلك النعمة التي كانت فى ذاتها آية من آيات الله، وتعالت آيات الله أن تشاب بسوء، وجلّت نعمه أن تختلط بكدر! فالصوم عن الكلام هنا هو من تمام تلك النعمة، التي تستأهل عظيم الحمد، وجزيل الثناء، ولهذا جاء توجيه الله تعالى لزكريا بقوله: «وَاذْكُرْ

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ)المحقق: إبراهيم البسيوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر،الطبعة: الثالثة ٢٤١/١.

(٢)تفسير النسفى (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد ابن محمود النسفي (ت: ٧١٠هـ) تحقيق :سيد زكريا- مكتبة نزار مصطفى الباز – القاهرة ١٥٩/١.الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمربن الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ) دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ ٣٦٠/١ .

رَبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ الْإِبْكارِ» بعد أن جعل الصوم عن الكلام آية له، شكرا على تلك العطية العظيمة، وعلى الآية المصاحبة لها. (١)

واذا كان الرمز بمعنى الإشارة أو الإيماء كما ذكر العلماء من اللغويين والمفسرين فما سر العدول عنهما والإتيان بتلك الفريدة (رمزا) لمعان منها:

- إن في هذه الفريدة دلالة زائدة لا توجد في هذين اللفظين وهى الحركة كما هو واضح من أصل معناها اللغوى ، فهى تدل على أن زكريا عليه السلام كان ممنوعا من الكلام لا لعاهة أو آفة أومرض ألم به بل كان منعه من الكلام آية ومعجزة على ابتداء حمل زوجه، وكان مع ذلك قادرا على أن يحرك جسده وأعضاءه بل كان يحرك لسانه بذكر الله تعالى كما أوضحت الآية (وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) فكان مع عدم القدرة على مخاطبة الناس بلسانه قادرا على العبادة والتسبيح لله تعالى. (٢)

- التعبير بالرمز أشمل وأعم من الإشارة والإيماء والمقام يقتضي التعميم،لأن المقصود أنه سيحدث قومه في تلك المدة بكافة الطرق والوسائل التي يقدر على الإبانة بها سوى الكلام ، ولا يدل على ذلك إلا الرمز لاتساع دلالته.

---

(١)التفسير القرآني للقرآن المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ) دار الفكر العربي – القاهرة ٢/٣٤٤،٣٤٥.

(٢)الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية أد/عبدالله سرحان ص ٢٣٦.بتصرف.

– ويمكن أن يعطى النظر فى الآية الكريمة معنى آخر، وهو أن قوله تعالى لزكريا عليه السلام:«آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً» هو إيحاء لزكريا بأنه يستطيع إذا تعطلت الأداة الطبيعية للتفاهم بينه وبين الناس، وهى الكلام، فإنه لا يُعدم وسيلة أخرى يتفاهم بها، ويجد منها ما يُعوضه عن بعض ما فقد،فيتخذ الرمزوالإشارة عوضا عن الكلمة باللسان. فإذا كان ذلك شأن الإنسان، حيث يستطيع أن يخرج عن الأسباب المألوفة، ويحقق بأسباب غيرها ما كان يحققه بها، فإن قدرة الله– التي هى فوق نطاق الأسباب أبدا– أحق وأولى بألا تحتجزها الأسباب التي نراها مصاحبة للمسببات! وأنه إذا كان من مألوف الحياة الواقعة تحت حواسنا ألا تلد العقيم، وألا يولد للشيخ الفاني، فإن قدرة الله– إذا قضت حكمته– تجعل العقيم ولودا، وتخلق من الشيخ الفاني بنين وبنات.(١)

– تومئ هذه الفريدة إلى أن امتناع زكريا عليه السلام عن الكلام كان بسبب مانع خارجى، فزكريا عليه السلام كان قادرا على الكلام وكان منعه من قبيل الإعجاز بخلاف الإشارة الواردة على لسان مريم عليها السلام في قوله تعالى(فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا) (٢)

فامتناع مريم عليها السلام عن الكلام لم يكن عن مانع خارجى بل كانت قادرة على الكلام ولكنها تعلم أن قومها لن يصدقوها وإن تكلمت ،ولذلك

(١)التفسير القرآني للقرآن المؤلف ٢/٣٤٤،٣٤٥.
(٢) سورة مريم الآية(٢٩).

أمرها تبارك وتعالى أن تقول في مواجهة من يحدثها من قومها (إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا) [(١)]. (٢)

- في الفريدة إيماء إلى تفرد موضعها في الذكر الحكيم ، وإلى تفرد هذا الموقف في تاريخ الأنبياء والإنسانية جمعاء، وهذا الموقف يختلف عن موقف إنجاب خليل الله إبراهيم عليه السلام لإسحاق وهو شيخ كبير من وجوه:منها:أن إبراهيم عليه السلام سبق له إنجاب إسماعيل ، وزكريا عليه السلام لم ينجب أحدا قبل يحيى ، وإبراهيم عليه السلام لم يطلب من ربه في كبره أن ينجب ولدا آخر غير إسماعيل لكن جاءته البشرى بالإنجاب كما يُفهم من الآيات ، ولكن طلَب زكريا عليه السلام من ربه ذلك مباشرة، وقدم الأعذار التي تمنعه من الإنجاب ، وسارة زوجة إبراهيم عليه السلام كانت عجوزا بنص القرآن الكريم ، أما امرأة زكريا عليه السلام فكانت عاقرا بنص القرآن الكريم، وبينهما فرق كما ترى ، فالموقفان متغايران وكل منهما كان أمرا معجزا خارقا للعادة فريدا في تاريخ الإنسانية[(٣)]، والله أعلم.

****

المطلب الثاني: الفريدة الثانية: (تَدَّخِرُونَ)

وردت هذه الفريدة في قوله تعالى: "وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ

---

(١) سورة مريم الآية(٢٦).

(٢) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني أد/ فاضل صالح السامرائي – العاتك للطباعة والنشر – ط الثانية ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م .ص ١١٧،١١٨.باختصار.

(٣) الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية ص ٢٣٤،٢٣٥بتصرف.

بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" الآية(٤٩)

قبل الخوض في تفسيرها نلقى الضوء على الناحية اللغوية: قال السمين الحلبي: (تدّخرون) أى تخبئون، يقال ذخرت الشئ أى خبأته،وأصله تذتخرون فأدغم بعد إبدال تاء الإفتعال ذالا، ثم إبدال الذال دالا مهملة، نحو: ادَّكر أصله اذْتكر. يقال: دخرته وادّخرته: أعددته للعقبى. وفي صفته عليه الصلاة والسلام: كان لا يدخرشيئا لغد.والمذاخِرُ :الجوف والعروق المدخرة للطعام[١].[٢]

وسياق هذه الفريدة كما يظهر من الآية هو حديث القرآن الكريم عن السيدة مريم وبشارة الله لها بعيسى عليه السلام وما حمله من معجزات إلى بني إسرائيل منها الخلق والإبراء وإحياء الموتى والإنباء بالغيب.

---

(١)عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ صنفه الشيخ أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ت ٧٥٦هـ –تحقيق د/محمد التونجي– ط الأولى١٤١٤هـ–١٩٩٣م– عالم الكتب ج٢/ص٣٧،صفوة البيان لمعاني القرآن لفضيلة الشيخ/ حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية–ط الثامنة ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م – القاهرة ص ٨١ .

(٢) الحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه ٢٩١/١٤/ح ٣٦٧٨ وقال د:شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح على شرط مسلم.صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان المؤلف: محمد بن حبان ابن أحمد بن مَعْبَدَ، التميمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)المحقق: شعيب الأرنؤوط– مؤسسة الرسالة – بيروت–الطبعة: الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣.

ومع أَنَّ عِلْمَ الغيبِ خاصٌّ باللهِ وَحْدَه إلا أنه نسب في هذه الآية لعيسى عليه السلام، ولكنه لم يَعْلَمْ شيئاً من الغيبِ إلّا ما عَلَّمَهُ اللهُ إياه، وهذه كانت من معجزاتِه لبني إسرائيلَ أَنه ينبئُهم ويُخبرُهم بما أَكَلوهُ من طعام، وما ادَّخَروه في بيوتِهم من الطعام، ومثلها ما آتاه الله لنبيه يوسفَ عليه السلام وهو في السجنِ مع الفتَيَيْن، وذَكَرَها القرآنُ في قوله تعالى: (قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي)[1]، كان يوسفُ يخبرُ السجينَيْن اللذَيْن معه بنوعِ الطعام الذي سيَأتيهِما في السجنِ قبلَ تقديمِه لهما، وهذا علمٌ بالغيب، لكنَّه لم يعلَمْه بنفسِه، إنما أَعلمَه به الله، ولذلك صَرَّحَ بقوله: (ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي) . فاللهُ هو الذي عَلِمَ الغيب، واللهُ هو الذي أَعْلَمَه بالغيب،قال تعالى:(عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ) [2].[3]

ويأتي الفعل (تدخرون) معبرا عن المعجزة الرابعة وهى إنباؤهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم ، وهو عليه السلام وإن كان أعطى معجزة الإنباء بالغيب عموما إلا أن هذين الأمرين خصا بالذكر هنا كما يقول الألوسي: لأن غالب سعى الإنسان وصرف ذهنه لتحصيل الأكل الذي به قوامه والإدخار الذي تطمئن به أكثر القلوب وتسكن معه غالب النفوس ،

---

(١)سورة يوسف الآية ٣٧ .

(٢) سورة الجن الآيتان(٢٦،٢٧).

(٣) القرآن ونقض مطاعن الرهبان، المؤلف: د صلاح عبد الفتاح الخالدي،دار النشر: دار القلم – دمشق الطبعة الأولى: ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م .ص ٣٩٧/٣٩٨ .

وهذا إخبار من المغيَّبات مع ما تقدم له من الآيات الباهرات وإخباره عن الغيوب بإعلام الله إياه بذلك، وهذا مما لا سبيل لأحد من البشر إليه إلا الأنبياء عليهم السلام، وأما أخبار المُنّجم والكاهن فلا بد لكل واحد منهما من مقدمات يرجع إليها ويعتمد في اخباره عليها، وقد يخطىء في كثير مما يخبر به. (١)

وقد اختلف المفسرون في وقت إنباء عيسى عليه السلام لقومه بالغيب على قولين :

القول الأول: أن عيسى عليه السلام كان يخبرهم بالغيوب من أول مرة .قال السدي وسعيد بن جبير وابن إسحاق : كان عيسى من لدن طفولته وهو في الكُتّاب يخبر الصبيان بما يفعل آباؤهم في منازلهم وبما يُؤكل من الطعام ويدخر حتى قال بنو إسرائيل لأبنائهم لا تخالطوا هذا الساحر، وكذلك إلى أن نُبىء، فكان يقول لكل من سأله عن هذا المعنى، أكلتَ البارحة كذا، وادخرتَ كذا، قال ابن إسحاق: وكان مُعلمه يريد أن يُعلمه الشيء فيسبقه إليه عيسى فيتعجب معلمه من ذلك ويذكره للناس.

القول الثاني: قال قتادة: إن الإخبار بالغيب إنما كان وقت نزول المائدة

---

(١) فتحُ البيان في مقاصد القرآن المؤلف: أبوالطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت: ١٣٠٧هـ) قدّم له وراجعه: عَبد الله الأنصَاري–الناشر: المَكتبة العصريَّة، صَيدَا – بَيروت ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م ٣/ ٣٤١، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ) دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ ج ٢/ ص١٦٣.

عليهم، ومعنى الآية أنها لما أنزلت أخذ عليهم عهدا أن يأكلوا ولا يخبىء أحد شيئا ولا يدخره ويحمله إلى بيته فخانوا وجعلوا يخبئون من ثمار الجنة وطعامها الذي كان ينزل على المائدة فكان عيسى عليه السلام يخبر كل أحد عما أكل وعما ادخرفي بيته من ذلك وعوقبواعلى ذلك. (١)

أقول: ولا تعارض بين هذين القولين ، فقد يكون ذلك حدث معه وهو صغير ، ولا غرابة في ذلك ، لأن الله تعالى أنطقه وهو صغير ورد على قومه ما افتروه من بهتان على أمه مريم عليها السلام، فليس ببعيد أن يُعلمه تعالى بذلك ويؤيده بهذه المعجزة وهو صغير،ثم تكرر معه ذلك أيضا عند نزول المائدة فأخبرهم بما ادخروه. وقدرة الله تعالى لا تتوقف عند حد ، ولا يحدها زمان ولا مكان.

وَجاء التعبير بِهَذِهِ الْخَوَارِقِ الْأَرْبَعِ مُصدّرَة بِالْمُضارِعِ الدَال علَى التجددِ، وَالْحَالَةِ الدَّائِمة، وبدأ بِالْخَلْقِ إِذْ هو أَعظَم فِي الْإعجازِ، وَثَنَى بِإِبْراءِ الْأَكْمهِ وَالْأَبْرَصِ، وأَتَى ثَالِثًا بِإِحْيَاءِ الْمَوْتَى، وَهُوَ خَارِق شارَكه فِيهِ غَيْره بِإِذْنِ الله تَعَالَى، وَكَرَّرَ بِإِذْنِ اللَّهِ، دَفْعًا لِمَنْ يَتَوَهَّمُ فِيهِ الْأُلُوهِيّةَ، وكان

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيزالمؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب ابن عبدالرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)المحقق: عبد السلام عبدالشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ ٢٣٧/١، مفاتيح الغيب المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ . ٢٢٩/٨.

بِإِذْنِ اللهِ، عَقِبَ قَوْلِهِ: أَنِّي أَخْلُقُ، وعطف عليه: وأبرىء الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَلَمْ يَذْكُرْ بِإِذْنِ اللَّهِ، اكْتِفَاءً بِهِ فِي الْخَارِقِ الْأَعْظَمِ، وَعَقَّبَ قَوْلَهُ: وَأُحْيِي الْمَوْتَى، بِقَوْلِهِ: بِإِذْنِ اللَّهِ، وَعَطَفَ عَلَيْهِ وَأُنَبِّئُكُمْ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ، بِإِذْنِ اللَّهِ، لِأَنَّ إِحْيَاءَ الْأَمْوَاتِ أَعْظَمُ مِنَ الْإِخْبَارِ بِالْمُغَيَّبَاتِ، فَاكْتَفَى بِهِ فِي الْخَارِقِ الْأَعْظَمِ أَيْضًا، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَارِقَيْنِ الْأَعْظَمَيْنِ قُيِّدَ بِقَوْلِهِ: بِإِذْنِ اللَّهِ، وَلَمْ يَحْتَجْ إِلَى ذَلِكَ فِيمَا عُطِفَ عَلَيْهِمَا اكْتِفَاءً بِالْأَوَّلِ إِذْ كُلُّ هَذِهِ الْخَوَارِقِ لَا تَكُونُ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ[1]

****

بعد هذا البيان ما السر في التعبير بهذه الفريدة:

– تفرد تدخرون بالذكر هنا وفي القرآن كله لأن المقام يقتضيه ولا يغني غيره عنه مثل(توفرون – تقتصدون) لأن معناها مأخوذ من (ادخرته إذا أعددته للعقبى) وهذا المعنى أشمل من التوفير والإقتصاد، إذ ليس شرطا فيهما أن يكونا للعقبى، لأن وفره توفيراً كثره وأكمله وجعله وافرا، والاقتصاد: ضدالإفراط، وعلى هذا فالفعل (تدخرون) أدق وأشمل في أداء المعنى وفي التعبير عن الحالة التى وصف بهابنو إسرائيل. [2]

---

(١) البحر المحيط المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان أثيرالدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ ١٦٠/٣، تفسير المراغي المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ) الناشر: مطبعة مصطفى الحلبي بمصر–الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦م٣/ ١٦٤.

(٢) بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم الفعل المضارع د/كمال عبدالعزيز إبراهيم ص١٤،١٥ بتصرف واختصار.

– تعكس هذه الفريدة بإيقاع أصواتها وجرس حروفها من الشَدّة الموجودة على الدال المجهورة المنقلبة عن تاء الإفتعال، ثم الخاء الحلقية المكسورة وما فيها من استعلاء وتفخيم ، ثم الراء المجهورة وما فيها من تكرار كل ذلك يعكس بوضوح تمسكهم وحرصهم على الادخار حتى صار عمود حياتهم ومحور دنياهم، وهذه الفريدة تصور تصويرا دقيقا حرص بني إسرائيل وشراهتهم وجشعهم ، حيث يجمعون ويخبئون في بيوتهم كل ما يمكن أن يُدخر من مال ومتاع وغيرهما،يؤكد هذا حذف مفعول الادخار لإفادة العموم(١).

– الادخار في حد ذاته غير ذميم وقد أوصى به النبيﷺ ليكون عدة وذخيرة لما يستقبل من الزمان،ويدل على ذلك ما صح عن النبي ﷺ عن أبي سعيد قال: نهى رسول الله ﷺ عن أكل لحوم الأضاحي فوق ثلاثة أيام، قال: فقالوا: يا رسول الله، إن لنا عيالا. قال: «كلوا وادخروا وأحسنوا»(٢)، ولكن هذا الأمر لدى بني إسرائيل أصبح ظاهرة فريدة وغريبة تُشكل قسمات شخصياتهم ونهج حياتهم، بدليل أن عيسى عليه السلام جمع بنى إسرائيل في هذه الفريدة كما تدل عليه واو الجماعة في (تدخرون) العائدة عليهم ، فكان هذا الإدخار جشعا وطمعا وحبا في الكنز والجمع، وكانت صفة من الصفات الملاصقة لهم

(١) الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية أد/ عبدالله سرحان ص ٢٤٣باختصار وتصرف.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ١٨/ص ٣٣١/ح ١١٨١١، وقال د/ شعيب الأرنؤوط صحيح – مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني(ت: ٢٤١هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط – وآخرون –الناشر: مؤسسة الرسالة– الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١ م.

التى تفردوا وعُرفوا بها في العالمين.

ـ ختم المولى تبارك وتعالى الآية بعد هذه الفريدة بقوله(إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين) وهذا الختام يتناسب مع بداية الآية، فكأن سيدنا عيسى يقول لبني إسرائيل :أنا نبي مرسل من عند الله ، وهوالذي أيدني بهذه المعجزات التى شاهدتموها وعاينتموها ، فما عليكم إلا الإيمان بالله الواحد الأحد والتصديق بما جئتكم به .

فدلت هذه الفريدة على تفرد هذا المسلك الذميم بهم وعلى تفرد موطنها في الذكر الحكيم . والله أعلم

****

المطلب الثالث: الفريدة الثالثة: (نَبْتَهِلْ)

هذه الفريدة وردت في قوله تعالى: "فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ" الآية(٦١)

قبل الخوض في هذه الفريدة نلقي الضوء على ما قاله أهل اللغة:

يقول مؤلف كتاب العين: باهلتُ فلاناً، أي: دعونا على الظّالم منا. وبهلته: لعنته ، وابتهل إلى الله في الدُّعاء، أي: جدّ واجتهد ، والباهلُ: المُتَرَدِّدُ بلا عملٍ، والرّاعي بلا عَصا. وأَبْهَلَ الرّاعي إبِلَه: تركها. والباهلُ: النّاقة التي ليستْ بمَصْرُورة، لبنُها مُباحٌ لمن حلّ ورحل، وإبلٌ بُهلٌ. ورجلٌ بُهلول: حييٌّ كريم، والبَهْلُ: الشّيءُ اليسيرُ الحقيرُ، يقال: أعطاهُ قليلاً بَهْلاً،والبَهْلُ: واحدٌ لا

يُجْمَع. وامرأة باهلةٌ: لا زوج لها. (١)

وبناء على ما قاله اللغويون فإن أصل الإبتهال مأخوذ من البَهل وهواللعن ، والبَهلة اللعنة، أوهو الإجتهاد في الدعاء باللعن وغيره، ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن لعنا، ولم يختلف المفسرون في دلالة الإبتهال على هذا المعنى كما ذكر اللغويون ، وظاهِرُ كلام المفسرين أنَّ الابتهالَ عامٌّ في كلِّ دعاء لَعنا كان أو غيره، ثم خُصَّ في هذه الآيةِ بِاللَّعن وهو المراد في الآية.

وقد اتفق المفسرون أن هذه الآية وما سبقها من بداية السورة في وفد نصارى نجران. (٢)

قال الإمام النسفى: {ثُمَّ نَبْتَهِلْ} ثم نتباهل بأن نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه وأبعده من رحمته وأصل الابتهال هذا ثم يستعمل في كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن التعاناً وروى أنه عليه السلام لما دعاهم إلى المباهلة قالوا حتى ننظر فقال العاقب وكان ذا رأيهم والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمدا نبي مرسل

(١) كتاب العين ٤/٥٤،٥٥ ، لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ ١١/٧١،٧٢، نهاية الأرب في فنون الأدب المؤلف: أحمد بن عبد الوهاب ابن محمد القرشي التيمي، شهاب الدين النويري (ت: ٧٣٣هـ) الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ ١٨/١٣٤.

(٢) تفسير البغوي ١/٤٥٠،٤٤٩ ، الكشاف ١/٣٦٨ ، التحرير والتنوير ٣/٢٦٥.

وما باهل قوم نبياً قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لنهلكن فإن أبيتم إلا إلف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم فأتوا رسول الله ﷺ وقد غدا محتضنا للحسين آخذا بيدالحسن وفاطمة تمشى خلفه وعليّ خلفها وهو يقول إذا أنا دعوت فأمنوا فقال أسقف نجران يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها فلا تباهلوا فتهلكو ولا يبقى عل وجه الأرض نصراني فقالوا يا أبا القاسم رأينا أن لا نباهلك فصالحهم النبي على ألف حلة كل سنة فقال عليه السلام والذي نفسي بيده إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولولاعنوا لمسخوا قردة وخنازير، وإنما ضم الأبناء والنساء وإن كانت المباهلة مختصة به وبمن يكاذبه لأن ذلك آكدا في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض أعزته وأفلاذ كبده لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته إن تمت المباهلة وخص الأبناء والنساء لأنهم أعز الأهل وألصقهم بالقلوب وقدمهم في الذكر على الأنفس لينبه على قرب مكانهم ومنزلتهم وفيه دليل واضح على صحة نبوة النبيﷺ[1].

وجاء التعبير بحرف العطف ثم الذى يدل على التراخى في {ثُمَّ نَبْتَهِلْ} تنبيهاً لهم على خطابِهم في مباهلته، كأنه يقولُ لهم: لا تعجلوا وَتَأنَّوا

(١) تفسير النسفي ١٦٣/١ ، التسهيل لعلوم التنزيل للإمام أبي القاسم محمد بن أحمد ابن جزي الكلبى ت ٧٤١هـ – تحقيق محمد سالم هاشم – دار الكتب العلمية بيروت – ط الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ١٤٨/١.

لعله أَنْ يظهر لكم الحق، أى لا تعجلوا في الرد بعد ما سمعتم هذه الحجج وهذه البراهين التى تبين لكم صدقي فيما جئت به . (١)

وهَذِهِ الْآيَة مِنْ أَعْلَام نُبُوَة محَمدٍ ﷺ، لِأَنَّهُ دَعَاهُمْ إِلَى الْمُبَاهَلَةِ فَأَبَوْاوَرَضُوا بِالْجِزْيَةِ بَعْدَ أَنْ أَعْلَمَهُمْ كَبِيرُهُمُ الْعَاقِبُ أَنَّهُمْ إِنْ بَاهَلُوهُ اضْطَرَمَ عَلَيْهِمُ الْوَادِي نَارًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ جَاءَكُمْ بِالْفَصْلِ فِي أَمْرِ عِيسَى، فَتَرَكُوا الْمُبَاهَلَةَ وَانْصَرَفُوا إِلَى بِلَادِهِمْ عَلَى أَنْ يُؤَدُّوا فِي كُلِّ عَامٍ أَلْفَ حُلَّةٍ فِي صَفَرٍ وَأَلْفَ حُلَّةٍ فِي رَجَبٍ فَصَالَحَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى ذَلِكَ بَدَلًا مِنَ الْإِسْلَامِ. (٢)

وهنا سؤال لم آثر التعبير بتلك الفريدة دون غيرها (نلتعن ،ونتضرع)؟

– في تلك الفريدة زيادة في المعنى لا توجد في (نلتعن ، ونتضرع) وهي أن الإبتهال يحمل في حناياه هذين المعنيين ، يدل على ذلك أن أصله كما تقدم هو الإجتهاد في الدعاء باللعن، والإسترسال والتضرع فيه، أما التضرع فهو دعاء بمذلة وانكسار للواحد القهار، ولا يفهم منه اللعن مطلقا،أما نلتعن ففيها معنى الطرد والإبعاد، وليس فيها معنى الإجتهاد في الدعاء وهو الذي يفهم من سياق الكلام، غير أن الدعاء باللعن لا يتناسب مع مقام النبي ﷺ لما جبل عليه من الرحمة والتسامح.

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون :المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد ابن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط.الناشر: دار القلم، دمشق ٣/٢٢٦: ٢٢٨ ١/ ٣٩٨ .

(٢) تفسير القرطبي ٤/١١١،البحر المحيط٣/١٨٩.

– هذه الفريدة تظهر منها العدالة المطلقة ،لأن المباهلة لا تكون إلا بعد إقامة الحجة ودفع الشبهة وإثبات الوحدانية للإله الحق الذي يستطيع أن ينزل اللعنةعلى الكاذب ، فكانت الدعوة إلى المباهلة دعوة إلى القوة القاهرة التى تتصرف في الأمر لتنهى الخلاف. (١)

– تومئ هذه الفريدة إلى تفرد هذا الموضع في الذكر الحكيم ،كما تومئ إلى تفرد تلك الحالة في تاريخ الأنبياء فلم يحدث أن باهل نبي من الأنبياء أحدا من مشركي الأمم السابقة،وفي هذا دلالة على أن رسالة الإسلام هي الرسالة الخاتمة،وأنها حق وصدق لا امتراء فيها،بدليل أن المباهلة تختص به ﷺ، ولكنه ثقة بربه ويقينا بصحة دعوته ضم إلى المباهلة أهله وأعزته ، ولما كان هذا أمرا تفرد به النبي ﷺ عبر بلفظ وحيد فريد إيماء إلى ذلك ، علاوة على أن هذه المباهلة قامت مقام المعجزة الكائنة بالفعل .(٢)

– هذه السورة نزلت في قدوم وفد نصارى نجران وعرض الإسلام عليهم ، وهي من السور المتفق على مدنيتها، ولم يذكر القرآن الكريم أى تعلق لأهل الكتاب في السور المكية، فكان ذكرهم في هذه الفريدة وفي هذه السورة متفق مع السياق الذي نزلت فيه السورة الكريمة.

– ختمت هذه الفريدة بهذا العقاب الشديد وهو(اللعن والطرد والإبعاد من

---

(١) التحرير والتنوير ٢٦٥/٣ ،تفسير الشيخ الشعراوى الخواطر، المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)الناشر: مطابع أخبار اليوم ١٥٢٩/٣ بتصرف.

(٢) الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنيةص ٢٤٧ البحر المحيط ١٨٩/٣بتصرف.

رحمة الله تعالى) وهو يؤيد ما ذكره المفسرون في معنى الإبتهال وهوالدعاء باللعن على المكذب بآيات الله .

فثبت من خلال ما تقدم أن هذه الفريدة هى أدق معنى، وأوفى في بيان المراد من غيرها، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يسد غيرها مسدها. والله أعلم.

****

المطلب الرابع: الفريدة الرابعة:(بدينار)

جاءت هذه الفريدة في قوله تعالى: "وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ" الآية(٧٥)

الدِّينَارُ مَعْرُوفٌ وَالْمَشْهُورُ فِي الْكُتُبِ أَنَّ أَصْلَهُ دِنَّارٌ بِالتَّضْعِيفِ فَأُبْدِلَ حَرْفَ عِلَّةٍ لِلتَّخْفِيفِ وَلِهَذَا يُرَدُّ فِي الْجَمْعِ إلَى أَصْلِهِ فَيُقَالُ دَنَانِيرُ، وَالدِّينَارُ وَزْنُ إحْدَى وَسَبْعِينَ شَعِيرَةً وَنِصْفِ شَعِيرَةٍ تَقْرِيبًا بِنَاءً عَلَى أَنَّ الدَّانِقَ ثَمَانِي حَبَّاتٍ وَخُمْسَا حَبَّةٍ ، وَإِنْ قِيلَ الدَّانَقُ ثَمَانِي حَبَّاتٍ فَالدِّينَارُ ثَمَانٍ وَسِتُّونَ وَأَرْبَعَةُ أَسْبَاعِ حَبَّةٍ وَالدِّينَارُ هُوَ الْمِثْقَالُ، [(١)]، وهو نقد ذهب كانَت قِيمَته فِي الدولة الإسلامية حوالى مَا يعادل الْآن خمسين (قرشا) وَهُوَ الْيَوْم

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي، أبوالعباس (ت: نحو ٧٧٠هـ)الناشر: دار الغد الجديد – القاهرة، ص١١٩.

عملة فِي بعض الدول الْعَرَبيَّة ويساوي جنيها انجليزيا[1]،ولكن قيمته تقدر الآن بإتفاق :(٢٥و٤) جراما وهو المثقال من الذهب. [2]

يخبر تعالى في هذه الفريدة عن حال أهل الكتاب في الوفاء والخيانة في الأموال وهوالجانب العملي الذي يظهر حقيقة صاحبه، بعد أن ذكر خيانتهم في الدين ومكرهم وكتمهم الحق، فأخبرأن منهم الخائن ومنهم الأمين.

وقد اختلف المفسرون في المعنى بهذه الآية من أهل الكتاب على قولين:

الأول: أن أهل الأمانة من أهل الكتاب هم من أسلموا، أما من لم يسلموا وبقوا على يهوديتهم فهم مصرون على الخيانة.

الثاني: أن أهل الأمانة من أهل الكتاب هم النصارى،وأهل الخيانة من أهل الكتاب هم اليهود.

والأولى حمل المعنى على العموم كما ورد اللفظ عاما، وإذا كانت الآية نزلت على سبب خاص يخص شخصا بذاته ، فإن العبرة كما قال العلماء (بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)، وهو ما يعنيه كلام شيخ المفسرين الإمام ابن جرير الطبري قال: وهذا خبر من الله عز وجل: أنّ من أهل الكتاب وهم اليهود من بني إسرائيل أهلَ أمانة يؤدُّونها ولا يخونونها،

---

(١) المعجم الوسيط المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (أحمد الزيات ، محمد النجار) وغيرهما ، الناشر: دار الدعوة ص٢٩٨ .

(٢) المكاييل والموازين الشرعية أد/ على جمعة محمد- ط الثانية-١٤٢١هـ/٢٠٠١م-دار القدس القاهرة -ص١٩.

ومنهم الخائن أمانته، الفاجرُ في يمينه المستحِلُّ [١]، وهو ما رجحه الإمام الرازي قائلا: والأولى أَن اللفظ مُحتمِل لِكُل الأَقسام. [٢]

ففي هذه الأية يبين الله أن أهل الكتاب لم يكونوافي المعاملة المالية مع العرب على خُلق واحد،فمنهم أُمناء يؤَدون الحق إلى من استأمنهم عليه ولو كان مالا كثيرًا، كعبد الله بن سلام، استودعه عربي قُرشي ألفًا ومائتي أُوقية ذهبًا حين كان ابن سَلاّم على يهوديته ،فلما طلبها القَرشي، أداها إليه كاملة،ومنهم خَوَنَةٌ يجحدون أمانات العرب التي استأمنوهم عليها ولو كانت مالا قليلا ولا يؤَدونها إلا بتكرار المواجهة والمطالبة، زاعمين أن الله أحل لهم سلب أموال الأُميين، إذ يقولون:(لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ): أي ليس علينا إثم في أكل أموالهم. فلا حساب ولا عقاب من الله تعالى لهم. وهم إذ يقولون هذا يكذبون على الله تعالى، عن عمد وعلم بأنهم كاذبون،ومن هؤُلاء –رجل اسمه فنحاص بن عازوراءَ استودعه قرشي آخر دينارًا فجحده. [٣] .

فإن قيل: لم خصَّ أهل الكتاب بأن فيهم خائناً وأميناً والخلق على ذلك ؟

والجواب: أنهم يخونون المسلمين استحلالا لذلك، وقد بيّنه تعالى في قوله (لَيْسَ عَلَيْنا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ)، وإنما أراد المولى عز وجل تحذيرَ

(١) جامع البيان ٥١٩/٦.

(٢) مفاتيح الغيب ٢٦٢/٨ ، البحر المحيط ٢٢٠/٣ .

(٣) تفسير البغوي ٥٦/٢ ، تفسير النسفي ١٦٦/١، مفاتيح الغيب ٢٦٣/٨ .

المؤمنين أن يأتمنوهم على أموالهم، وتخويفهم الاغترارَ بهم، لاستحلال كثير منهم أموالَ المؤمنين(١)، أى أن الله تعالى خصهم بالذكر ليكون المؤمنين على حذرمنهم في معامة الدينار والدرهم.

وَالْمُرَادُ مِنْ ذِكْرِ الْقِنْطَارِ وَالدِّينَارِ هَاهُنَا الْعَدَدُ الْكَثِيرُ وَالْعَدَدُ الْقَلِيلُ، يَعْنِي أَنَّ فِيهِمْ مَنْ هُوَ فِي غَايَةِ الْأَمَانَةِ حَتَّى لَوِ اؤْتُمِنَ عَلَى الْأَمْوَالِ الْكَثِيرَةِ أَدَّى الْأَمَانَةَ فِيهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي غَايَةِ الْخِيَانَةِ حَتَّى لَوِ اؤْتُمِنَ عَلَى الشَّيْءِ الْقَلِيلِ، فَإِنَّهُ يُجَوِّزُ فِيهِ الْخِيَانَةَ. (٢)

ولكن ما السر في التعبير بهذه الفريدة دون غيرها:

تقدم أن سورة آل عمران من السور المدنية، وقد نزلت بعد سورة الأنفال فعلى ذلك هى من أوائل السور المدنية، وعندما دخل النبي ﷺ المدينة كان يسكنها طوائف متعددة من اليهود وغيرهم ، ولم يكن النبي ﷺ وأصحابه على علم تام بطبائع هؤلاء القوم ولا بصفاتهم ، فبين المولى عزوجل لنبيه ﷺ ولصحابته بعضا من صفاتهم ، وجانبا من كيفية معاملاتهم حتى يكون المجتمع على علم بهذه الصفات ، وليتخذ الحيطة والحذر في معامتله مع هذه الفئة من البشر، حتى لا يؤدي ذلك إلى وقوع فتنة بين الفريقين.

---

(١) جامع البيان ٥١٩/٦، زاد المسيرفي علم التفسير المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت ،الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ –١/٢٩٥..

(٢) مفاتيح الغيب ٢٦٣/٨، البحر المحيط ٢٢٠/٣ .

-تومئ هذه الفريدة من خلال سياق الآية إلى أن الخيانة للأمانة من أخلاق هؤلاء القوم ، وهي صفة بارزة وواضحة فيهم وملازمة لهم ، وهم يستحلونها ويعتبرون ذلك حلالا لهم ،معللين لمذهبهم الانتفاعي بما بينه تعالى في كتابه فقال (ذلك بأنهم قالُوا لَيْسَ عَلَيْنا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ) أى ليس علينا حرج ولا إثم عند الله في استحلال أموال العرب الأميين واستلابها منهم بأي طريقة ، وقد جمعوا بذلك بين أكل الحرام واعتقاد حله، وهذا ليس بغريب على قوم كذبوا على الله تعالى ، وافتروا عليه ، ونسبوا إليه ما لا يليق بجلاله. (١)

- يظهر من التعبير القرآنى بهذه الفريدة الإنصاف التام لأهل الكتاب ،فقد بين أن منهم الأمين ولو أتئمنته على قنطار لأداه إلى صاحبه ونلحظ في التعبير القرآني عندما عبر عن الصنف الأمين قال (ومن) دلالة على أن هؤلاء قليل بالقياس إلى الصنف الآخر، وقد نعتهم القرآن بأهل الكتاب، وهذا يدل على أنه لوكان من أهل الكتاب الحقيقين ممن يؤمنون بالتعاليم التى جاءت في كتبهم لأدى الأمانة إلى أصحابها ، ثم ذكر الصنف الآخر الخائن للأمانة وعندما عبر عنه قال (ومنهم) وأضاف إليهم ضمير الجمع، وهذا يدل على كثرة هذا الصنف الخائن إذا ما قورن بالصنف الآخر، ومن خلال التعبير نجد أنه لم يعرفهم بأهل الكتاب وذلك لبيان أنهم بخيانتهم للأمانة دليل على خروجهم من دائرة أهل الكتاب ، لأنهم لو كانوا من أهل الكتاب لعملوا بما

(١) التفسير الوسيط أد/ محمد سيد طنطاوى١٤٧/٢، بنو إسرائيل في القرآن والسنة أد/محمد سيد طنطاوى ط الأولى ١٩٦٩م – دار حراء القاهرة ج٢٦٤/٢بتصرف .

جاء في الكتاب وأدوا الأمانة لأصحابها.

– استفيد من الآية: أن الخيانة في الأمانة من أخلاق هؤلاء، ولهذا يجب أن يتنزه عنها المؤمنون، امتثالا للمنهج الكريم الذي أوجب الله علينا فلا يحل لمسلم أن يخون أحدًا ولو خالفه في الدين . والله أعلم،،،

****

المطلب الخامس: الفريدة الخامسة: (ببَكَّة)

وردت هذه الفريدة في قوله تعالى: " إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ" الآية (٩٦)

اتفق اللغويون على أصل اشتقاق هذه الفريدة ، وهو البك ويراد به دق العنق، ولكنهم اختلفوا في سبب التسمية ببكة، واختلفوا في (بكة) و(مكة) هما هما بمعنى واحد أم يختلفان؟ وإليك الأقوال:

قال الأزهري: البَكُّ: دق العنق. وسميت مكة: بكّة، لأن الناس يبكُّ بعضهم بعضاً في الطواف، أي: يدفع بعضهم بعضاً بالازدحام. ويقال: بل سميت بذلك لأنها كانت تبك أعناق الجبابرة إذا ألحدوا فيها بظلم وَقِيلَ أَيْضًا: بَكَّةُ فَعْلَةٌ مِنْ بَكَكْتُ الرَّجُلَ: إِذَا رَدَدْتُهُ وَوَضَعْتَ مِنْهُ ، قيل: إن بكة مَوضِع الْبَيْت، وَسَائِر مَا حوله مَكَّة. قَالَ: وَالْإِجْمَاع أَن مَكَّة وبكة الْموضع الَّذِي يحجّ النَّاس إِلَيْهِ، وَهِي الْبَلدة. قَالَ الله جلّ وَعز: {بِبَطن مَكَّة} [سورةالْفَتْح: ٢٤] ،

وَقَالَ: {لَلَّذي ببكة مُبَارَكًا} . (١)

وَقَدِ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ أن مكة اسم لجميع البلدة، وَاخْتَلَفُوا فِي بَكَّةَ عَلَى أربعة أقوال:

أحدها: أنها اسْمٌ لِلْبُقْعَةِ الَّتِي فِيهَا الْكَعْبَةُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَالثَّانِي: أَنَّهَا مَا حَوْلَ الْبَيْتِ وَمَكَّةُ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ، قَالَهُ عِكْرِمَةُ.

وَالثَّالِثُ: أَنَّهَا الْمَسْجِدُ وَالْبَيْتُ،وَمَكَّةُ اسْمٌ لِلْحَرَمِ كُلِّهِ، قَالَهُ الزُّهْرِيُّ.

وَالرَّابِعُ: أَنَّ بَكَّةَ هِيَ مَكَّةُ، قَالَهُ الضَّحَّاكُ، وَاحَتَّجَ لِتَصْحِيحِهِ ابْنُ قُتَيْبَةَ بِأَنَّ الْبَاءَ تُبْدَلُ مِنَ الْمِيمِ، يُقَالُ: سَبَدَ الرَّجُلُ رَأْسَهُ، وسمد رأسه، إِذَا اسْتَأْصَلَهُ، وَشَرٌّ لازِمٌ وَلازِبٌ. (٢)

وأصل كلمة بكة من البك وهو الازدحام. يقال تباكّ القوم إذا تزاحموا، وكأنها سميت بذلك لازدحام الحجيج فيها. والبك أيضا دق العنق، وكأنها سميت بكة لأن الجبابرة تندق أعناقهم إذا أرادوها بسوء. وقيل إنها

---

(١) تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبومنصور(ت:٣٧٠هـ) المحقق: محمد عوض، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، ٣٤٢/٩، معجم مقاييس اللغة ،المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام هارون،الناشر: دار الفكر،عام النشر:١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.١٨٦/١، مشارق الأنوار على صحاح الآثار،المؤلف: عياض ابن موسى بن عياض بن اليحصبي، أبو الفضل (ت:٥٤٤هـ) دار النشر: دار التراث، ١١٤/١، الكليات ص٢٥٣.

(٢) المحرر الوجيز ٤٧٤/١، تفسير القرطبي ١٤٦/٤، فتح القدير ٤١٥/١.

مأخوذة من بكأت الناقة أو الشاة إذا قل لبنها، وكأنها إنما سميت بذلك لقلة مائها وخصبها.

والمعنى: إن أول بيت وضعه الله تعالى للناس في الأرض ليكون متعبدا لهم، هو البيت الحرام الذي بمكة، حيث يزدحم الناس أثناء طوافهم حوله، وقد أتوا إليه رجالا وعلى كل ضامر من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم.

روى الشيخان عن أبى ذر قال: «قلت يا رسول الله: أى مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام. قلت: ثم أى؟ قال المسجد الأقصى. قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة، ثم قال: حيثما أدركتك الصلاة فصل. والأرض لك مسجد» . (١)

وقد أشكل هذا الحديث على من لم يعرف المراد منه فقال: معلوم أن سليمان بن داود هو الذي بنى المسجد الأقصى، والذي بنى المسجد الحرام هو إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، وبينهما وبين سليمان أكثر من ألف سنة فكيف قال ﷺ: إن بين بناء المسجدين أربعين سنة؟

والجواب: أن الوضع غير البناء، فالذي أسس المسجد الأقصى ووضعه في الأرض بأمر الله سيدنا يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم

---

(١)أخرجه البخاري صحيح البخاري المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر-الناشر: دار طوق النجاة -الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ كتاب أحاديث الأنبياء-بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ}٤/١٦٢/ح٣٤٢٥.

السلام،وبين إبراهيم ويعقوب هذه المدة التي جاءت في الحديث، أما سليمان فلم يكن مؤسسا للمسجد الأقصى أو واضعا له وإنما كان مجددا فلا إشكال ولا منافاة.

إذن فالبيت الحرام أسبق بناء من المسجد الأقصى، وأجمع منه للديانات السماوية، وهو- أى البيت الحرام- أول بيت جعل الله الحج إليه عبادة مفروضة على كل قادر على الحج، وجعل الطواف حوله عبادة، وتقبيل الحجر الأسود الذي هو ضمن بنائه عبادة.. ولا يوجد بيت سواه في الأرض له من المزايا والخصائص ما لهذا البيت الحرام. (١)

<u>وبعد ذكر أقوال اللغويين والمفسرين يتبين الآتي:</u>

- كلا اللفظين (بكة ، مكة) في اللغة علم على أم القرى التى بها أشرف وأفضل مكان لعبادة المولى تبارك وتعالى. (٢)

---

(١) تفسير القرطبي ١٤٦/٤، تفسير البغوي ٤٧١/١ ،فتح القدير ٤١٥/١، التفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف: محمد سيد طنطاوي٣/ ١٨٦،١٨٧، مثيرالعزم الساكن إلى أشرف الأماكن .المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)المحقق: مرزوق علي إبراهيم. دار الراية.الطبعة: الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م ٣٣٥/١ ،٣٣٤.

(٢) تفسير القرطبي ٤/ ١٤٦ ،تفسيرأبي السعود(إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٨٦/٣،١٨٧،محاسن التأويل للقاسمى ٣٥٥/٢.

اشتقاق بكة فيه أقوال:

١- سميت بذلك لأن الناس يتباكون فيهاأى يزدحمون ويأتون إليها من كل وجه.

٢- لأن الحجيج يتباكون ويتدافعون في أثناء الطواف يقال بكّ القوم إذاازدحموا.

٣- بَكّة هِيَ مَكّة نَفْسُهَا بإبال الباء ميم، والْعرب تُعاقِب بَيْن الْبَاء وَالميم، تقول: ضَرْبَةُ لَازِبٍ وَلَازِمٍ.

٤- لأنها تَبُك أعناق الجبابرة إذا ألحدوا فيها بظلم .

وأما مكة: فاشتقاقها من قولهم: تمَكَّكْتُ الْعَظْمَ إِذَا أَخْرَجْتُ مُخه سميت بذلك لأنها وسط الأرض كالمخ الذي هو أصل ما في العظم،وذهب بعض العلماء إلى أنها مشتقة من :مَكَّ الْفَصِيلُ ضَرْعَ أُمِّهِ وَامْتَكَّهُ إِذَا امْتَصَّ كُلَّ مَا فِيهِ مِنَ اللَّبَنِ وَشَرِبَهُ.

وَقِيلَ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَمُكُّ مَنْ ظَلَمَ فِيهَا، أَيْ تُهْلِكُهُ وَتُنْقِصُهُ.

تلك هى الأوجه التى ذكرها العلماء لإشتقاق اللفظين .

أما في القرآن الكريم فقد ورد لفظ (بكة) في هذه السورة، ولفظ (مكة) في سورة الفتح في قوله تعالى"وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ" الآية (٢٤) ، وتدلنا الآيتان على أن كلا اللفظين علم على أم القري ومهبط الوحى شرفها الله كما تقدم.

لكن لو نظرنا إلى الإستعمال القرآني للفظين نجد أن القرآن راعى في تعبيره للفظين التدرج التاريخى في استعمال الكلمتين علما على أم القري.

قال العلامة ابن عاشور: وَالظَّاهِرُ عِنْدِي أَنَّ بَكَّةَ اسْمٌ بِمعنى الْبَلْدَةِ وَضَعَهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَمًا عَلَى الْمَكَانِ الَّذِي عَيَّنَهُ لِسُكْنَى وَلَدِهِ بِنِيَّةِ أَنْ يَكون بَلدا، فَيَكُون أَصْلُهُ منَ اللغَة الْكَلْدانية، لغة إبراهيم، ألا ترى أنهم سَمَّوْا مَدِينَةَ (بَعْلَبَكَّ) أَيْ بَلَدَ بَعْلٍ وَهُوَ مَعْبُودُ الْكَلْدَانِيِّينَ، وَمِنْ إعجاز الْقُرْآن اخْتِيَار هَذَا اللَّفْظُ عند ذكر كَونه أَوَل بَيت فلاحظ الاسم الأول. (١)

ونخلص مما سبق أن (بكة) هى الاسم القديم ، ثم أبدلت الباء ميما في الإسم الحديث فصارت مكة ، واستقر هذا الإسم الجديد علما على أم القرى، لكنّ القرآن لما ذكر أولوية البت الحرام وكونه أول بيت مقدس ، ناسب ذلك ذكر الإسم القديم ، ولما تعرض القرآن للوقائع الحديثة كما في آية الفتح التى تقص وقائع فتح مكة ، جاء بالإسم العربي الذي استقر علما على أم القرى (٢).

وبعد هذا البيان بإيجاز ما السر وراء التعبير بهذه الفريدة دون غيرهامن الألفاظ كمكة أو البلد الحرام :

---

(١) التحرير والتنوير ١٢،١١/٤،المعجم الإشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم أد/ محمد حسن جبل – أستاذ أصول اللغة بجامعة الأزهر بالقاهرة– مكتبة الآداب –القاهرة– ٢٠١٠م– ص ١٦٠ بتصرف.

(٢) معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم أد/ محمد محمد داود – دار غريب للطباعة والنشر –٢٠٠٨م ص ١٤٩، ١٥٠بتصرف،بلاغة الكلمة في التعبير القرآنى د/فاضل السامرائي ص ٥١.

- عبر القرآن بهذه الفريدة في هذا الموضع دلالة على تفردها في هذه السورة فلم ترد في أي سورة أخري من القرآن ، ويدل أيضا على تفرد هذه البلدة بهذا الاسم في تاريخ البشرية ، فلم يسمع عن أي بلدة في التاريخ سميت بهذا الإسم وأطلق عليها بكة غيرها ، وهذا يدل على فضلها ومكانتها من بين سائر الأماكن والبقاع.

- هذه الفريدة تومئ من خلال حروفها التى تتصف بالشدة بأن هذه التسمية علم على هذه البقعة المباركة وهى جديرة بهذا ، فهي من خلال تسميتها بذلك تبك وتدق أعناق الجبابرة، أو أن الناس يتباكون إليها أي يزدحمون فيها ويزدحمون في الطواف حول البيت لشوقهم وحبهم وتلبية لدعوة ربهم ولنبيهم ﷺ، ولنداء الخليل إبراهيم عليه السلام ، إضافة إلى المعالم والمناسك المباركة في هذا المكان والتى تجعل الجميع يزدحمون بشوق دون أن يعبئوا بتعب أومشقة، لأن كل هذا يذوب في لذة الشوق والقرب والمناجاة لله تعالى.

- يظهر من خلال سياق الآيات أن التعبير بهذه الفريدة ومجيئها على هذا النسق فيه تحذير لأهل الكتاب ممن يسكنون مع النبي ﷺ في المدينة، ولأهل مكة الذين يناصبون العداء لرسول الله ﷺ ولدعوته ، فهم قد شاهدوا، أو سمعوا بما حدث مع أبرهة وجنوده لما أراد هدم الكعبة بيت الله الحرام، فأهلكه الله تعالى وهزمه بجند من عنده شر هزيمة، فعلى من يريد أن يغدر أو يخون من هذه الطوائف فليتذكر ذلك عندما يريد أن يغدر أو يخون ،

وليعلم بأن الله سيسلط عليه جنودا تذيقه ما يستحقه. [١]

- يأتي بعد هذه الفريدة في سياقها قوله تعالى (مباركا) وهذا اللفظ يوحي بالإطمئنان والراحة والسكينة، فإذا كانت هذه البقعة من اسمها تبك أعناق الجبابرة إلا أنها مباركة ومليئة بالرحمات والفيوضات الإلهية التى تتجلى من عند الله تعالى على زائري هذه البقعة وعلى الطائفين والعاكفين، ومليئة بالثمرات والخيرات التي تُجبى إليها من كل مكان تلبية لدعاء خليل الرحمن: "رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ"[٢] لذا جاء القرآن معبرا بهذه اللفظة بهذا الإسم الذي هو مشتق من البك ، وجاء بها على هذا النسق المحكم الفريد. والله أعلم

****

المطلب السادس: الفريدة السادسة: (غُزى)

وردت هذه الفريدة في قوله تعالى" يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ""الآية(١٥٦)

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط ابن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) الناشر: دار الكتاب الإسلامي- القاهرة ج٥/ص٦ بتصرف.

(٢) سورة إبراهيم الآية (٣٧).

هذه الآية من الآيات التى تحدثت عن غزوة أحد ، ولكنها تنهى المؤمنين وتحذرهم من التشبه بهؤلاء الذين نعتهم الله تعالى بوصف الكفر، ومن الإستماع إلى أقوالهم الخبيثة ، وقبل الخوض في هذه الفريدة نذكر معناها اللغوى.

قال ابن فارس:(غَزَوَ) الْغَيْنُ وَالزَّاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، أَحَدُهُمَا طَلَبُ شَيْءٍ، وَالْآخَرُ فِي بَابِ اللِّقَاحِ.فَالْأَوَّلُ الْغَزْوُ. وَيُقَالُ: غَزَوْتُ أَغْزُو. وَالْغَازِي: الطَّالِبُ لِذَلِكَ، وَالْجَمْعُ غُزَاةٌ وَغَزِيٌّ أَيْضًا، وَالثَّانِي: قَوْلُهُمْ: أَغْزَتِ النَّاقَةُ، إِذَا عَسُرَ لِقَاحُهَا، وَقَالَ قَوْمٌ: الْأَتَانُ الْمُغْزِيَةُ: الَّتِي يَتَأَخَّرُ نِتَاجُهَا ثُمَّ تُنْتَجُ. (١)

قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه: يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وأقرّوا بما جاء به محمد من عند الله، لا تكونوا كمن كفر بالله وبرسوله، فجحد نبوَّة محمد ﷺ ، وقال لإخوانه من أهل الكفر "إذا ضربوا في الأرض"فخرجوا من بلادهم سفرًا في تجارة "أو كانوا غُزًّى" أى كان خروجهم من بلادهم غزاةً فهلكوا فماتوا في سفرهم، أو قُتلوا في غزوهم "لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا" يخبر بذلك عن قول هؤلاء الكفار أنهم يقولون لمن غزا منهم فقتل، أو مات في سفر خرج فيه في طاعة الله، أو تجارة: لو لم يكونوا خرجوا من عندنا، وكانوا أقاموا في بلادهم ما ماتوا وما قتلوا "ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم"، يعني: أنهم يقولون ذلك، كي يجعل الله قولهم ذلك حزنًا

(١) معجم مقاييس اللغة ٤/٤٢٣،المصباح المنيرص٢٥٩ .

في قلوبهم وغمًّا، ويجهلون أن ذلك إلى الله جل ثناؤه وبيده،والذين نهى الله المؤمنين بهذه الآية أن يتشبَّهوا بهم فيما نهاهم عنه من سوء اليقين بالله، هم عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه. (١)

وهنا يرد سؤال مفاده: هل المقصود نهي المؤمنين عن مماثلتهم في النطق بالقول فحسب؟

أجاب العلامة أبو السعود، فقال: ليس المقصود بالنهي عدم مماثلتهم في النطق بهذا القول، بل في الاعتقاد بمضمونه والحكم بموجبه، وقال الإمام القاسمى والآية تفيد الأمرين، أعني حفظ الاعتقاد المقصود أولا وبالذات، وحفظ المنطق مما يوقع في إضلال الناس، ويخل بالمقام الإلهي(٢)، فالآية تنهى المؤمنين عن التشبه بهؤلاء القوم في الأمرين، سواء في التلفظ به أوفي الاعتقاد بمضمونه، لأن في كليهما اعتراض على حكم الله وقضائه.

فإن قيل: لم ذكر الغزو بعد الضرب في الأرض وهو داخل فيه؟

فالجوابُ: أن الضرب في الأرض يرادُ به السفر البعيد، لا القريب،

---

(١) جامع البيان ٣٣٠/٧،٣٣١، أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل: ناصرالدين أبو سعيد عبد الله ابن عمر بن محمد البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، ٤٥/٢، فتح القدير ٤٥٠/١.

(٢) تفسير أبوالسعود ١٠٤/٣، تفسير القاسمي ٤٤٠/٢،٤٤١، اللباب في علوم الكتاب المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الدمشقي (ت: ٧٧٥هـ)المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود- دار الكتب العلمية - بيروت لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م- ٩/٦.

إذ الخارج من المدينة إلى جبل أحدٍ لا يوصف بأنه ضارب في الأرض، وفي الغزو لا فرق بينه وبين قريبه وبعيده، فلذلك أورد الغزو بعد الضرب في الأرض [١].

وعبر عن هؤلاء المنافقين بالكافرين، لبيان أن مثل هذا لا ينبغى أن يصدر من المؤمنين، بل إنما يصدر من الكافرين، إذ أن من مات أو قتل فقد انتهى أمره، فقولهم (لو كان كذا) عبث لأن ما وقع لا يرتفع، والحسرة عليه لا تفيد، ومن شأن المؤمنين أن يكونوا صحيحى العقل والإدراك. [٢]

ولكن ما السر في التعبير بهذه الفريدة في هذا الموضع:

- حين ننظر في هذه المجموعة من الآيات نظرة فاحصة نجدها قد ضمت جوانحها على حشد ضخم من المشاهد الفائضة الحيوية، ومن الحقائق الكبيرة الأصيلة في الحياة الإنسانية. وفي السنن الكونية. نجدها تصورمعركة أحد بلمسات سريعة حية متحركة عميقة، فلا تدع منها جانباً إلا سجلته تسجيلاً يستجيش المشاعر والخواطر وهي بدون شك أشد حيوية وأشد استحضاراً للمعركة بجوها وملابساتها ووقائعها، وما من شك أن احتشاد هذه المشاهد، وهذه الحقائق، في هذا القدر من الألفاظ والعبارات- مع حيويتها وحركتها وإيحائها على هذا النحو- أمر غير معهود في التعبير البشري. يدرك ذلك من يدركون أسرار الأساليب، وطاقات الأداء، وبخاصة من يعالجون منهم

(١) اللباب في علوم الكتاب ٦/ص٩، التحرير والتنوير ١٤٢/٤.
(٢)تفسير المراغي ١٠٨/٤.

التعبير، ويعانون أسرار الأداء . [١]

-في هذه الآية دعوة للمؤمنين أن يتجنبوا وساوس الكافرين الذين لا يؤمنون بقضاء الله، ولا يستسلمون لقدره، فإذا مات لهم ميت أو قتل لهم قتيل، وهو يجاهد فى سبيل الله قالوا هذا القول المنكر، الذي حكاه القرآن عنهم ،وحذر المؤمنين من القول مثل قولهم الذي يؤدي إلى الكفر والعياذ بالله . [٢]

- مع خصوصية الآيات الزمنية فهي كسابقاتها مستمرة التلقين لكل مسلم في كل ظرف بوجوب عدم التشبه بالكفار والمنافقين والاندماج في دسائسهم والاستماع إلى وساوسهم المؤدية إلى الانحراف عن الإخلاص لله تعالى والجهاد والتضحية في سبيله. ومن شأنها أن تمدّ المؤمن المخلص بالصبر والرضا والتسليم لحكمة الله والجرأة والإقدام وإيثار ما عند الله على حطام الدنيا ومتاعها. [٣]

- من سياق هذه الفريدة في هذه الآية يُظهر المولى تبارك وتعالى عما يضمره هؤلاء للمؤمنين وما يقولونه من كلام بهدف تثبيط المؤمنين ونكوصهم عن الغزو في سبيل الله تعالى ، وعدم السمع والطاعة لما يقوله رسول الله ﷺ، لكى يكون المؤمنون على حذر من كيدهم ومكرهم ،

---

(١) التفسير الواضح المؤلف: الحجازي، محمد محمود - دار الجيل الجديد – بيروت- الطبعة: العاشرة - ١٤١٣ هـ١/٢٩٩ بتصرف.

(٢) التفسير القرآني للقرآن ٢/٦٢٢.

(٣) التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول] المؤلف: محمد عزة دروزة الناشر: دار إحياء الكتب العربية – القاهرة - ١٣٨٣ هـ-٧/٢٢٥.

وليستحضر عند خروجه للغزو ما أعده الله تعالى للمجاهدين في سبيله من إحدى الحسنيين إما النصر وإما الشهادة .

– هذا القول من المنافقين يدل على جبنهم وعجزهم، كما يدل على ضعف عقولهم وعدم إيمانهم بقضاء الله وقدره، فالله هو الذي قدّر الآجال وينتهي أجل المرء في المكان الذي أراده المولى تبارك وتعالى وقدره. (١) ، والله أعلم.

****

المطلب السابع: الفريدة السابعة: (فظًا)

وردت هذه الفريدة في قوله تعالى: " فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ" الآية(١٥٩)

هذه الفريدة تذكر جانبا من الجوانب الإنسانية لرسول الله ﷺ حيث وصفت وبينت حسن خلق رسول الله ﷺ وهو في أحلك وأصعب الأوقات في غزوة أحد ، لما انهزم القوم بسبب مخالفة الرماة لأوامر الرسول ﷺ ولاذوا بالفرار، وبسبب ذلك كسرت رباعيته ﷺ وشُج وجهه ﷺ وسال الدم الزكى من جسده الطاهر ﷺ ثم تجمع الصحابة رضوان الله عليهم يدافعون عن النبي ﷺ بكل فدائية، ومع كل هذالم يخاطبهم بالغلظة والشدة وإنما كان لين الجانب رحيما بهم.

---

(١)التفسير الوسيط د/محمد سيد طنطاوي ٢/ ٣١٠ بتصرف.

وقد ذكر اللغويون أن الفظّ: هو سيئ الخلق جافى الطباع ، قال ابن الأثير: الفظ السيء الْخلق والغليظ الجافي القاسي الْقلب يُقَال فِيهِ فظاظة وأصل الْفظ مَاء الكرش يعتصر للشُّرْب عِنْد عوز المَاء سمي فظا لكَرَاهَة طعمه وَغلظ مشربه وَلَا يتَنَاوَل إِلَّا عِنْد الضَّرُورَة،ورَجُلٌ فَظٌّ: سيّئ الخُلُق. وَفُلَانٌ أَفَظُّ مِنْ فُلَانٍ: أَيْ أصْعَب خُلُقًا وَأَشْرَسُ. وَالْمُرَادُ هَاهُنَا شِدّة الخُلُق وخُشُونة الجانِب. (١)

ولم يختلف المفسرون عن اللغويين في معنى الفريدة ، قال الإمام السمرقندي: والفظّ: الغليظ الجانب، السّيئ الخلق، والفظ: ماء الكرش والفرث، وإنما سمي فظاً لغلظ مشربه. فأما الغليظ القلب، فقيل: هو القاسي القلب، فيكون ذكرالفظاظة والغلظ- وإن كانا بمعنى واحد- توكيداً. وقال ابن عباس: الفظ: في القول، والغليظ القلب في الفعل، والمعنى: فبرحمة مِّنَ الله لِنْتَ لَهُمْ يا محمد أى لينت لهم جانبك، وكنت رؤوفاً رحيماً بالمؤمنين وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ أي خشناً في القول غليظ القولَ انْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ أي لتفرقوا من

(١)النهاية في غريب الحديث والأثرالمؤلف: مجد الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م-تحقيق: طاهر أحمد الزاوى . ٤٥٩/٣ ،الصحاح المؤلف: أبو نصر إسماعيل ابن حماد الجوهري (ت: ٣٩٣هـ)تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار-دار العلم للملايين - بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.١١٧٦/٣،لسان العرب٤٥١/٧.

عندك، ولكن الله جعلك سهلاً سَمْحاً طلقاً ليناً لطيفاً باراً رحيماً. (١)

وهنا سؤال مفاده: إِنْ قِيلَ: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْفَظِّ وَبَيْنَ غَلِيظِ الْقَلْبِ؟

الجواب: الْفَظُّ الَّذِي يَكُونُ سَيِّءَ الْخُلُقِ، وَغَلِيظُ الْقَلْبِ هُوَ الَّذِي لَا يَتَأَثَّرُ قَلْبُهُ عَنْ شَيْءٍ، فَقَدْ لَا يَكُونُ الْإِنْسَانُ سَيِّءَ الْخُلُقِ وَلَا يُؤْذِي أَحَدًا وَلَكِنَّهُ لَا يَرِقُّ لَهُمْ وَلَا يَرْحَمُهُمْ، فَظَهَرَ الْفَرْقُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. (٢)

ويرد سؤال آخر مفاده: عن الغلظة تنشأ الفظاظة فلم قدمت؟

قدمت الفظاظة لسر وهو تقديم ما هو ظاهر للحسّ على ما هو خاف في القلب(٣)، لأن الفظاظة تظهر من القول باللسان وهى ظاهرة للجميع، بخلاف الغلظة المتعلقة بالقلب فلا تعرف إلا بالتعامل. قال الراغب: الفظّ: كريه الخلق، وذلك مستعار من الفظّ، وهو ماء الكرش، وذلك مكروه شربه إلا في ضرورة. والغلظة: ضد الرقة. (٤)

---

(١) بحر العلوم المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ)١/٢٦٠ ، تفسيرالبغوي ١/٥٢٦،زادالمسير ١/٣٣٩، ٣٤٠ ،تفسيرالبيضاوي٢/٤٥.

(٢) مفاتيح الغيب ٩/٤٠٧،تفسيرالبيضاوي٢/٤٥.

(٣) البحر المحيط ٣/٤٠٨،إعراب القرآن وبيانه :محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت: ١٤٠٣هـ) دار اليمامة دمشق – بيروت الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥ هـ.٢/٨٧.

(٤) المفردات للراغب ص ٣٨٤، الفرق بين الضاد والظاء فى كتاب الله عز وجل وفى المشهور من الكلام المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ)المحقق: حاتم صالح الضّامن– دار البشائر – دمشق الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م ص٨٥.

وهذا الخلق الذميم والكريه الذى نفّرت الآية منه وهو جفوة الطباع وقسوة القلب وعبرت عنه بهذه الفريدة لا يتصف به سيد البشرية ﷺ ،لأن المقصود من البعثة أن يبلّغ الرسولُ تكاليفَ اللهِ تعالى إلى الخَلْق، وذلك لا يتم إلا بميل قلوبهم إليه، وسكون نفوسهم لديه، وهذا المقصودُ لا يتم إلا إذا كان رحيماً بهم، كريماً، يتجاوز عن ذنوبهم، ويعفو عن سيئاتهم، ويخصهم بالبرّ والشفقة، فلهذه الأسباب وجب أن يكون الرسولُ مُبَرَّءاً عن سوء الخلق، وغِلْظة القلبِ، ويكون كثير الميلِ إلى إعانة الضعفاء، وكثير القيام بإعانة الفقراء[1].

<u>والسر في التعبير بهذه الفريدة دون غيرها من الألفاظ لما فيها من معان منها:</u>

- هذه الفريدة تكشف عن الطبيعة البشرية، وأن الناس إنما يألفون من يتألفهم، ويحسن إليهم، ويلقاهم بالصفح الجميل، وعلى غير هذا من كان حادّ الطبع، شرس الخلق، غليظ القلب، لا يقيل عثرة، ولا يغفر زلة، إنه لن يجد من الناس إلّا المقت والنفور، وأنه إذا صح لإنسان- وهو غير صحيح- أن يسوّى حسابه مع الناس على هذا الوجه، القائم على الغلظة والشدة، والمنتهى به إلى القطيعة والعزلة- فإنه لا يصح أبدا، ولا يستقيم بحال، لمن

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير المؤلف: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني (ت: ٩٧٧هـ) الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة –١٢٨٥ هـ ٢٥٩/١. اللباب في علوم الكتاب ١٨/٦.

كان بمكان الرياسة والقيادة لأية جماعة من الجماعات، كثر عددهم أو قلّ.. فإن الخيط الذي يمسك به كيان الجماعة ويشدّها إليه، هو ما يفيض عليها من قلبه، من رحمة، ولين، ولطف، وإلّا تقطعت بينه وبينها الأسباب، ولو كانوا أبناءه وخاصة أهله. (١)

-الإشارة إلى تفرد رسول الله ﷺبالخلق الرفيع والمقام الأسنى البديع بين الخلائق أجمعين مصداقا لقوله تعالى(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (٢)،وما ورد في صحيح السنة عن أنس بن مالك رضى الله عنه قَالَ:(لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحِشًا، وَلاَ لَعَّانًا، وَلاَ سَبَّابًا) (٣)ومن دلائل ذلك أن هذه الفريدة وردت في مقام لو عامل فيه الرسول ﷺأصحابه من الرماة الذين خالفوا أمره في غزوة أحد، لو عاملهم بالقسوة والغلظة والشدة لما لامه ربه،ولكان هذا جزاء عادلا لهم، ولكنه ارتقى ﷺ بخلقه الكريم عن معاقبتهم وعاملهم بالرفق واللين والرحمة، لأنهم خالفوا لا عن قصد المخالفة ولكن عن تأويل ورؤية ارتأوها.

فكان هذا الموقف من المواقف الفريدة التى دلت على سمو خلقه ورقة طبعه مما تعجز العبارة عن وصفه،ومثل هذا الموقف كثير جدا في حياة رسول الله ﷺ والتى كانت سببا في دخول كثير من الناس في دين الله أفواجا.

-هذه الفريدة تؤكد على عدم وجود الترادف بمعنى التطابق في القرآن الكريم

---

(١)التفسير القرآني للقرآن ٦٢٧/٢.

(٢) سورة القلم الآية ٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب-باب ما ينهى من السباب واللعن ٦٠٤٦/ح١٥/٨.

لأنها أعقبت بقوله(غليظ القلب)وقد فرق بين المعنيين، فالفظاظة خشونة في اللفظ وبشاعة في الطبع تنجم وهى مستعارة من الفظ وهو ماء الكرش وذلك مكروه شربه لا يتناول إلا للضرورة،ولا يحس المرء ببشاعته إلا بعد تذوقه ومخالطته للفم[1]، أما غلظ القلب فهى صفة خفية لازمة للنفس تجعل صاحبها عديم الشفقة قاسيا لا يرق لأحد من الناس ولا يألم لألمهم ولا يقدر مشاعرهم فعواطفه ليست جياشة بل قاسية غليظة.

فتبين أن القرآن يضع كل لفظة في موقعها الأنسب والأليق لها ، ولو أدرت كلام العرب كله كي تضع لفظة مكانها لأعياك ذلك. والله أعلم،،،،،

(١)المفردات للراغب ٣٨٤، الفرق بين الضاد والظاء فى كتاب الله عز وجل للإمام الداني ص ٨٥،الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية ٢٥١،٢٥٢باختصار.

الخاتـــــــمة

بعد هذه المعايشة مع هذه السورة المباركة مدة من الزمن ، أحمد الله تعالى على أن مَنّ على بختام هذا البحث ، وأسأله تعالى الإخلاص والقبول ، وهذا البحث ما هو إلا خطوة على طريق إعجاز القرآن الكريم وبالتحديد في فرائد سورة (آل عمران)، والفرائد القرآنية بمثابة بحر كامن من الأسرار لا ساحل له ويعجز البشر عن الوصول إلى نهايته ، ولا أدعي أنني في بحثي هذا وصلت إلى هذا القدر بجهدى واجتهادي، وإنما هو بفضل المولى تبارك وتعالى وبكرمه ، ولولا فضل الله تعالى ما خطت الأنامل حرفا واحدا.

وقد توصلت من خلال البحث إلى بعض النتائج:

١- عدد فرائد سورة آل عمران سبع فرائد تنوعت في اشتقاقها ما بين أسماء (دينار ،بكة)،أفعال(رمزا،تدخرون،نبتهل)،ومصدر (غزى)،وصفة(فظا).

٢- فرائد هذه السورة منها ما جاء ببشارة كما في قوله تعالى(رمزا) فقد جاءت بشارة لسيدنا زكريا عليه السلام،ومنها ما جاءبمعجزة كما في الفريدة (تدخرون)وهو إعلام بالغيب على لسان سيدنا عيسى عليه السلام،ومنها ما ورد وهو يحمل بين طياته تهديدا ووعيدا لمن يكذب بآيات الله ولمن يجادل في آيات الله بغير علم وبدون حجة وهذا بين في ما حدث مع النبي ﷺ عند مباهلته لوفد نصارى نجران في قوله تعالى (نبتهل)،ومنها ما ورد في صيغةالإمتنان والشفقة والرحمة بالصحابة

رضوان الله عليهم وبالأمة المحمدية ،وهذا واضح فيما وصف به المولى تعالى حبيبه ونبيه ﷺ بالرحمة وعظيم الأخلاق ونفي عنه ﷺ سيئ الأخلاق في قوله تعالى (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك).

٣- العامل الأهم من وراء هذه الدراسة هو مراعاة السياق الذي وردت فيه هذه الفريدة حسب النظم القرآني الذي اقتضى مجيئها على هذا النسق المحكم العجيب،وكان ورودها لحكم وأسرار ربما نكون وفقنا إلى الوقوف على بعض أسرارها، وما فاتنا فهو كثير بالنسبة لما تحويه من أسرار وإعجاز.

٤- فرائد سورة آل عمران جاءت متوافقة مع المميزات والسمات العامة التي رسمها وحددها العلماء لمعرفة السور المدنية،فقد اتسمت السورة بالحديث عن أهل الكتاب ،وفي بيان بعض صفات المنافقين،والتحذير من كيدهم،فجاءت معظم الفرائد متوافقة مع هذه المميزات.

٥- بعض الفرائد في هذا البحث كانت عصيبة فلم تبح لي بسر تفردها، وحينذاك كنت ألتمس العون من الله تعالى وأطوف حول سياق الآية فيفتح الله عز وجل ببعض الأسرار كما في لفظ (دينار).

٦- دلالات الفرائد في القرآن الكريم ارتبطت فى الغالب بالمعنى اللغوي والتفسيري، وفي بعض الأحيان يكون المعنى اللغوي هو نفس معنى الفريدة في الآية، أو يوحي ببعض معناها.

٧- القرآن الكريم كنز أسرار لا ينفد وحين تنفتح للباحث المتأمل كوة من النور فإنه يرى عالما من الإيحاءات التى تساعده في معرفة أسرار القرآن

الكريم.

٨- أثبتت هذه الدراسة أن الترادف بمعنى التطابق يخلو من ألفاظ القرآن الكريم، فكل لفظة في القرآن لها معنى ووراءها أسراركشف عن بعض منها ، ولا زالت الألفاظ مليئة بالأسراروالمعانى.

التوصيات:

١- على الباحثين أن يوجهوا أنظارهم نحو دراسة إعجاز القرآن الكريم فهو ملئ بالأسرار، بالإضافه لخدمته لكتاب الله تعالى في هذا العصر الذي تكالب فيه العلمانيون والحداثيون وشمروا عن ساعد الجد بغية الطعن في كتاب الله عزوجل.

٢- بذل المزيد من الجهود العلمية في موضوع الإعجاز القرآني بوجوهه المتعددة والمتجددة وتقديم دراسات حديثة وربطها بالتطور والتقدم العلميين.

٣- تقديم مشاريع قرآنية كبيرة والعمل على التنسيق بين الجهود في نشاطات بحثية مشتركة والتعاون فيما بين الباحثين والجامعات والمراكز البحثية لإنجاز تلك المشاريع العلمية.

فهرس المصادر والمراجع

١- إعجاز القرآن الكريم للقاضي أبي بكر الباقلاني- مكتبة مصر-ص (هـ).

٢- الإتقان في علوم القرآن المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧٤ م.

٤- الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية- أد/ عبد الله عبد الغنى سرحان- الأستاذ بجامعة الأزهر- مركز التدبر ط الأولى١٤٣٣هـ/٢٠١٢م- الرياض-السعودية.

٤-الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق - المؤلف: عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ(ت١٤١٩هـ)دارالمعارف،ط: الثالثة.

٥- أفراد كلمات القرآن العزيز لأحمد بن فارس اللغوي ت ٣٩٥هـ - تحقيق: أد/ حاتم صالح الضامن- دار البشائر- ط الأولى ١٤٢٣هـ.

٦- آل حم غافر وفصلت دراسة أسرار البيان أد/محمد محمد أبوموسى- ط الأولى١٤٢٠هـ/٢٠٠٩م- مكتبة وهبة-القاهرة .

٧- الألفاظ الوحيدة في القرآن وسر إعجازها-عاطف المليجي-دارحورس للطباعة-القاهرة٢٠٠٢م.

٨- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله ابن عمر ابن محمد البيضاوي(ت:٦٨٥هـ)المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي

الناشر:دار إحياء التراث العربي/بيروت،الطبعةالأولى١٤١٨هـ.

٩- البحر المحيط المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠هـ.

١٠- التحرير والتنوير المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر.

١١- التسهيل لعلوم التنزيل للإمام أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبى ت٧٤١هـ –تحقيق: محمد سالم هاشم –دار الكتب العلمية بيروت –ط الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

١٢- التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول] المؤلف: محمد عزة دروزة الناشر: دار إحياء الكتب العربية – القاهرة – ١٣٨٣ هـ.

١٣- التفسير القرآني للقرآن المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (ت:بعد ١٣٩٠هـ) دار الفكر العربي – القاهرة.

١٤- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم- اعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، بإشراف أد/ مصطفي مسلم –جامعة الشارقة- ط الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م – الإمارات العربية المتحدة .

١٥- التفسير الواضح المؤلف: محمد محمود حجازي - دار الجيل الجديد – بيروت–الطبعة: العاشرة - ١٤١٣ هـ.

١٦- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع

البحوث الإسلامية بالأزهر،الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م).

١٧- الجامع الصحيح المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر-الناشر: دار طوق النجاة -الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٨- الجامع الصحيح المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرةالترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)تحقيق :أحمد شاكر،ومحمد فؤاد عبد الباقي ،الناشر:مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر-الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥ م.

١٩- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي تحقيق د/محمد إبراهيم الحفناوي- دار الحديث القاهرة- ط الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٢٠- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط.الناشر: دار القلم، دمشق.

٢١- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير المؤلف: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني (ت:٩٧٧هـ) الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة.

٢٢- الصحاح المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت:٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار- دارالعلم للملايين- بيروت ط: الرابعة

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

٢٣- العين المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري(ت:١٧٠هـ) المحقق: د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٢٤- الفائق في غريب الحديث والأثرالمؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو ابن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)المحقق: علي محمد البجاوي - دار المعرفة – لبنان .الطبعة: الثانية.

٢٥- الفرق بين الضاد والظاء فى كتاب الله عز وجل وفى المشهور من الكلام المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ)المحقق: حاتم صالح الضّامن- دار البشائر – دمشق الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

٢٦- القاموس المحيط المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)تحقيق: محمد نعيم العرقسُوسي - مؤسسة الرسالة بيروت – لبنان–ط: الثامنة، ١٤٢٦ هـ.

٢٧- القرآن ونقض مطاعن الرهبان،المؤلف: د صلاح عبد الفتاح الخالدي،دار النشر: دار القلم – دمشق الطبعة الأولى: ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .ص ٣٩٨/٣٩٧ .

٢٨- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمربن الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.

٢٩- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية،المؤلف: أيوب ابن موسى الحسيني الكفوي (ت: ١٠٩٤هـ)المحقق: عدنان درويش ، مؤسسة الرسالة – بيروت.

٣٠- اللباب في علوم الكتاب المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي ابن عادل الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٧٥هـ)المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود- دار الكتب العلمية - بيروت لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

٣١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيزالمؤلف: أبو محمد عبد الحق ابن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت:٥٤٢هـ)المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ .

٣٢- المصباح المنير في غريب الشرح الكبيرالمؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ، أبو العباس (ت: نحو ٧٧٠هـ)الناشر:دار الغد الجديد – القاهرة.

٣٣- المعجم الإشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم أد/ محمد حسن جبل – أستاذ أصول اللغة بجامعة الأزهر بالقاهرة- مكتبة الآداب –القاهرة- ٢٠١٠م.

٣٤- المعجم الوسيط المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (أحمد الزيات ، محمد النجار)وغيرهما ،الناشر: دار الدعوة .

٣٥- المفردات في غريب القرآن المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد

المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)تحقيق:محمد خليل عيتاني الناشر: دار المعرفة بيروت الطبعة: الثانية – ١٤٢٠ هـ .

٣٦- المكاييل والموازين الشرعية أد/ على جمعة محمد- ط الثانية- ١٤٢١هـ/٢٠٠١م-دار القدس القاهرة .

٣٧- الموسوعة القرآنية، خصائص السورالمؤلف: جعفر شرف الدين المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي -دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٠ هـ.

٣٨- النهاية في غريب الحديث والأثرالمؤلف: مجد الدين محمد بن محمد ابن عبدالكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م-تحقيق: طاهر أحمد الزاوى.

٣٩- إعراب القرآن وبيانه :محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت:١٤٠٣هـ) دار اليمامة دمشق – بيروت الطبعة: الرابعة ، ١٤١٥هـ.

٤٠- بحر العلوم المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ) .

٤١- بصائر ذوي التمييزفي لطائف الكتاب العزيز المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)المحقق: محمد علي النجار،الناشر:لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

٤٢- بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم المضارع نموذجا-د/كمال عبدالعزيز إبراهيم- الدار الثقافية للنشر- القاهرة-٢٠١٠م.

٤٣- بلاغة الكلمة في التعبير القرآنى د/فاضل صالح السامرائي-أستاذ بكلية

الآداب- جامعة بغداد-ط الثانية١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م-العاتك للطباعة والنشر-القاهرة.

٤٤- بنوإسرائيل في القرآن والسنة أد/محمد سيد طنطاوى ط الأولى ١٩٦٩م - دار حراء القاهرة.

٤٥- تاج العروس من جواهر القاموس المؤلف: محمّد بن محمّد ابن عبدالرزّاق الحسيني،الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)المحقق: مجموعة من المحققين -الناشر: دار الهداية.

٤٦- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن المؤلف: عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع البغدادي ثم المصري (ت:٦٥٤هـ) تحقيق: الدكتور حفني محمد شرف الناشر: الجمهورية العربية المتحدة .

٤٧- تفسير الشيخ الشعراوى الخواطرالمؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى:١٤١٨هـ) الناشر: مطابع أخبار اليوم .

٤٨- تفسير المراغي المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ) الناشر:مطبعة مصطفى الحلبي بمصر-الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م.

٤٩- تفسير أبي السعود(إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت:٩٨٢هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٥٠- تفسير النسفى (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) المؤلف: أبو البركات

عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي (ت: ٧١٠هـ) تحقيق :سيد زكريا- مكتبة نزار مصطفى الباز –القاهرة.

٥١- تهذيب اللغة المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)المحقق: محمد عوض ،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت –الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٥٢- جامع البيان في تأويل القرآن محمد بن جرير بن يزيد،أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)المحقق: أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة .الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

٥٣- جماليات المفردة القرآنية المؤلف: أحمد ياسوف،الناشر: دار المكتبى – دمشق ،الطبعة: الثانية، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م

٥٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت:١٢٧٠هـ)الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٥٥- زاد المسيرفي علم التفسير المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)المحقق: عبد الرزاق المهدي،دار الكتاب العربي – بيروت ،الطبعة:

٥٦- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد ابن مَعْبَدَ، التميمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)المحقق: شعيب الأرنؤوط- مؤسسة الرسالة – بيروت-الطبعة: الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣.

٥٧- صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري

النيسابوري(ت: ٢٦١هـ)المحقق:محمد فؤاد عبد الباقي.الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٥٨- صفوة البيان لمعاني القرآن لفضيلة الشيخ/ حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية–ط الثامنة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م – القاهرة ص ٨١ .

٥٩- صفوة التفاسير الشيخ محمد على الصابوني- دار الصابوني للطباعة والنشر–القاهرة .

٦٠- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ صنفه الشيخ أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ت ٧٥٦هـ -تحقيق د/محمد التونجي- ط الأولى١٤١٤هـ-١٩٩٣م- عالم الكتب.

٦١- فتحُ البيان في مقاصد القرآن المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان ابن حسن بن علي الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت: ١٣٠٧هـ)قدّم له وراجعه: عَبد الله الأنصَاري–الناشر:المَكتبة العصريَّة، صَيدَا– بَيروت١٤١٢هـ-١٩٩٢ م.

٦٢- فتح القديرالمؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.

٦٣- فرائد اسم الفعل في القرآن الكريم"دراسة بلاغية"- د/ السيد محمد سالم- مجلة جامعة المدينة العالمية–العددالثاني عشر–أبريل٢٠١٥م.

٦٤- لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور(ت٧١١هـ)الناشر: دار صادر– بيروت الطبعة الثالثة١٤١٤هـ.

٦٥- لطائف الإشارات = تفسير القشيري المؤلف: عبد الكريم بن هوازن ابن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ)المحقق: إبراهيم البسيوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر،الطبعة: الثالثة.

٦٦- مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن .المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ). دار الراية.الطبعة: الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٦٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني(ت: ٢٤١هـ)المحقق: شعيب الأرنؤوط – وآخرون - مؤسسة الرسالة-الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٦٨- مشارق الأنوار على صحاح الآثار،المؤلف: عياض بن موسى ابن عياض بن اليحصبي، أبو الفضل (ت: ٥٤٤هـ)دار النشر: دار التراث.

٦٩- معالم التنزيل في تفسير القرآن"تفسيرالبغوي" المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ) تحقيق:محمد عبد الله النمر،دار طيبة للنشروالتوزيع ،ط:الرابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٧٠- معالم سور القرآن الكريم واتحافات درره تاليف أد/جمعة على عبدالقادر – ط الثانية ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٧١- معجم الفرائد القرآنية- باسل سعيد البسومى- مركز نون للدراسات والأبحاث القرآنية ١٤١٢هـ/٢٠٠١م.

٧٢- معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم أد/ محمد محمد داود – دار غريب للطباعة والنشر -٢٠٠٨م .

٧٣- معجم مقاييس اللغة ،المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت:٣٩٥هـ) المحقق: عبدالسلام هارون، دار الفكر ١٩٧٩م.

٧٤- مفاتيح الغيب المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن ابن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

٧٥- مفاريد الألفاظ في القرآن الكريم-رسالة ماجستير-للباحث/محمود عبدالله يونس-كلية اللغة العربية بالقاهرة ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٧٦- من بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم د/محمد السيد سالم – مجلة جامعة المدينة العالمية- العدد العاشر.

٧٧- نظم الدرر في تناسب الآيات والسورالمؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)الناشر: دار الكتاب الإسلامي- القاهرة.

٧٨- نهاية الأرب في فنون الأدب المؤلف: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد القرشي التيمي، شهاب الدين النويري (ت:٧٣٣هـ)، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط الأولى،١٤٢٣ هـ.

فهرس الموضوعات

رقم	الموضوع	رقم الصفحة
١	ملخص البحث.	٤٢٣٢
٢	المقدمة.	٤٢٣٤
٣	التعريف بسورة آل عمران.	٤٢٤٠
٤	تعريف الفرائد لغة واصطلاحا.	٤٢٤٨
٥	الفرائد في الدراسات السابقة.	٤٢٥٠
٦	الفريدة الأولى (رمزا).	٤٢٥٦
٧	الفريدة الثانية (تدخرون).	٤٢٦٢
٨	الفريدة الثالثة (نبتهل).	٤٢٦٩
٩	الفريدة الرابعة (بدينار).	٤٢٧٤
١٠	الفريدة الخامسة (ببكة).	٤٢٧٩
١١	الفريدة السادسة (غُزى).	٤٢٨٦
١٢	الفريدة السابعة (فظّا).	٤٢٩١
١٣	الخاتمة.	٤٢٩٧
١٤	فهرس المصادر والمراجع.	٤٣٠٠
١٥	فهرس الموضوعات.	٤٣١١

تم بحمد الله تعالى